روايات عبير

مارغريت روم

في قبضة الأقدار

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 20

في قبضة الأقدار

كانت حياة كارولين ليندسي سلسلة من المآسي : ماتت امها وهي طفلة وفقدت والدها الذي احبته حباً كبيراً . وما كادت تبدأ بشق طريقها في الحياة حتى اوقعتها اختها دوروندا في مأزق حرج. ودوروندا ابنة زوجة ابيها هربت من البيت تاركة لكارولين طفلا حراماً والده شاب ايطالي رفض القران بها...

وتفاقمت المشكلة عندما ظهر عمّ للطفل يدعى دومينيكو فيكاري جاء من روما بحثاً عن دوروندا وابنها عارضاً عليها الزواج تكفيراً عن ذنب ابن عمه فيتوريو... ويموت فيتوريو في حادث طائرة...

وكي تضمن حياة رغيدة للطفل ادعت كارولين انها دوروندا ووافقت على الزواج من دومينيكو شرط ان يكون الزواج شكلياً فقط !

لكن الامور لم تكن في مثل هذه البساطة ولاسيما في روما... ماذا حدث في روما ولماذا هربت كارولين الى وطنها؟ وكيف اكتشف دومينيكو انها ليست أم الطفل الذي تزوجها من أجله... كل هذا يخفق كقلب جريح بين صفحات هذه القصة الرائعة.

لبنان	٦ ل.ل.	الكويت	٧٠٠ ف	اليمن	٨ ر	السودان	٧٠٠ م
سورية	٨ ل.س.	الامارات	٩ د	تونس	١ د	U.K.	£ 1
الأردن	٥٠٠ ف	البحرين	[illegible] ف	ليبيا	٧٠٠ د	France	F 10
العراق	٥٠٠ ف	قطر	٩ ر	المغرب	٨ د	Greece	Drs 120
السعودية	٨ ر	عمان	٩٠٠ ب	مصر	٧٠٠ م	Cyprus	P 1

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية

**THE MARRIAGE OF
CAROLINE LINDSAY**

المراسلات :

Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece.

*Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk*

١ ـ الاختان

غادر المعزون المنزل وتركوا كارولين التي فضت كل عروض الجيران لتقيم معهم بعض الوقت حتى تتغلب على أحزانها بعد موت أبيهالمفاجىء .

جلست كارولين أمام المدفأة تحاول أن تدخل الحرارة الى جسمها الذي خدّره الاجهاد . فلقد ظلت طوال الأيام الثلاثة الماضية في ما يشبه الفراغ المستمر، كانت تتحرك آليا ، لتأكل وتتكلم وتشتري ملابس الحداد وكأن شخصاً آخر تولى القيام بواجباتها منذ موت أبيها.

راحت تفكر في أبيها ، كان مرحاً متفائلا . لا يعبأ باية مشكلة مهما كانت كبيرة.

ماتت والدتها وهي بعد طفلة في شهرها العاشر . وبرغم أن والدها شارلز لندسي أحب أمها حباً جنونياً، الا أنه سرعان ما أيقن أن حياته مستحيلة بلا امرأة الى جانبه بعد وفاة زوجته .

لم يكن بينه وبين زوجته الجديدة ميلدرد أي حب كبير أو تعاطف، ولكن كان لكل منهما ما يعطيه للآخر. فقد كانت أماً دون زواج وكانت ابنتها دورندا في حاجة الى أب تنسبها اليه، وفي مقابل ذلك

حصل هو على رعاية المرأة . وكان الخاتم الذهبي في يدها يعني الاحترام بالنسبة اليها.

وكانت العائلة راضية قانعة ، فالفتاتان كانتا كشقيقتين الا أن الرابطة العائلية كانت تهتز عندما تصاب احداهما فى حادث أو تقابلهما مشكلة . فكانت كارولين تلجأ الى أبيها و دورندا الى أمها.

بقيت الحال على هذا المنوال ثلاث سنوات حتى توفي ميلدرد، ونتج عن ذلك أن شعرت دورندا بالحرمان . وحزن شارلز وكارولين مثلها على وفاة ميلدرد الا أن شعور كل منهما بوجود الآخر الى جانبه خفف من وطأة الصدمة . اما دورندافبقيت في غربة عنهما.

لذلك لم يستغرب شارلز عندما قررت دورندا الذهاب الى لندن بعد مضي ثلاثة أشهر على وفاة والدتها.

نظرت كارولين إليها غير مصدقة وقالت :

«اى لندن ولماذا ؟ ماذا ستفعلين هناك ؟»

«قررت أن ألتحق بمدرسة للازياء في لندن. انهم يضمنون لي عملا عندما أنتهي من التدريب. وبما أن هذا العمل طالما راقني فإني واثقة من انني سأنجح. في اي حال دفعت المصاريف وهم يتوقعون حضوري خلال يومين عند بدء الدورة الجديدة.»

وبعد يومين عدت دورندا الى لندن ووعدت بأن تكتب في انتظام بمجرد أن تستقر . وتحرك القطار من المحطة وكان آخر ما شاهداه يدها وهي تلوح من النافذة وقد ارتسمت على وجهها أمارات السعادة .

سقطت قطعة خشب في وسط النار فانتزع صوتها كارولين من تأملاتها. واذا بجرس الباب يدق فسألت :

«من الطارق ؟»

احتارت كارولين في البداية ووقفت تحدق في الفتاة الطويلة الأنيقة الواقفة أمام الباب . ثم صرخت بعدما عرفت من هي . وفتحت الباب واندفعت نحوها:

«دورندا حبيبتي ، كنت أعلم أنك ستحضرين ، طلبت من الله أن تحضري وها أنت قد جئت .»

«لقد نضجت . إنك جميلة . لو رآك ، رينيه لعرض ان يرسمك.»

«ومن هو رينيه ؟»

«انه صاحب العمل المصور الذي أعمل موديلا عنده .»

وتساءلت دورندا في نفسها أين ستجد كارولين رجلا مدركاً يستطيع أن يحول سذاجة الطفلة الى نضج امرأة .

«دورندا لا يمكنك أن تتصوري فرحتي بمجيئك . دعيني أحمل حقائبك . ادخلي واجسي قرب النار وسأد لك العشاء .»

ابتسمت دورندا وهي تجلس على كرسي أبيها القديم وقالت :

«انا سعيدة مثلك يا عزيزتي . اني اتله على فنجان من الشاي .»

أثناء تناولهم العشاء تحدثا عما فعلاه أثناء انفصالهما في السنوات الثلاث . ودقت الساعة معلنة انتصاف الليل فنظرت كارولين الى الساعة في دهشة وقالت :

«مضى الوقت من دون أن أعد لك السرير. يجب الا تستغرق في النوم لأن السيد ولكنز سيحضر حوالي العاشرة ليطلعنا على وصية والدي.»

أدركت كارولين وهي تتكلم أنها المرة الأولى التي تذكر فيها والدها منذ وصول دورندا . وأدركت دورندا ماذا كان يدور في خاطرها وأمسكت بها واحتضنتها قائلة :

«انا أسفة لأني لم أصل قبل الآن ياكارولين لأكن معك وأساعدك في ترتيب المأتم ، ولكن كما قلت لك ان عملي يشغلني كثيرا . وكلما قررت الكتابة اليك حدث شيء ما . وبعدما بلغت القمة فجأة أصبحت الحياة كلها قلقاً وارتباطات اجتماعية ، حفلات ، رحلات الى الخارج . كانت الحياة كالدوامة وشعرت كأني دمية في خيط لا أجد وقتاً لنفسي .»

ونظرت اليها كارولين في دهشة وقالت :

«هذا من نعم الله . فالدنيا كلها في تصرفك : سفر ، مغامرات ، حب . هل قابلت فتى وسيماً يادورندا هل أحببت ؟»

وانزعجت كارولين للشحوب الذي ظهر على وجهها عندما سمعت هذا السؤال . فصرخت ولفت ذراعها حول كتفي أختها لكن دورندا أبعدت ذراعها وابتعدت عن ضوء المصباح وقالت :

«اني أشعر بتعب شديد . هل يمكن أن أصعد الى غرفتي؟»

ودون انتظار رد صعدت السلم ودخلت غرفة نومها القديمة . وصعدت كارولين وراءها وما أن وصلت الى باب الغرفة حتى سمعت دورندا وهي تغلق الباب بالمفتاح . وذهبت الى غرفة نومها وأمضت

الليل تلازمها النظرة المتألمة اليائسة التي ظهرت على وجه أختها.

استيقظت كارولين صباح اليوم الثاني على صوت الأواني وصفير غلاية الشاي . كانت قلقة لم تنم الا في الساعات المبكرة من الصباح .

وشعرت دورندا بأنها في بيتها فوثبت من فراشها لتأخذ دوشاً سريعاً ثم ارتدت ملابسها وسرحت شعرها ونزلت الى المطبخ تجهز الطعام ونظرت الى اختها بأبتسامة مشرقة وقالت :

«صباح الخير ياكارولين . الفطور جاهز . صبيّ القهوة.»

أخذت دورندا تدندن بجذل وهي تتحرك في المطبخ . وكأن لم يكن لفتاة الليلة السابقة وجود . وضعت الماكياج بمهارة ولكن لم تتمكن من اخفاء جفونها المنتفخة ولا نظرتها الحزينة .

قالت كارولين:

«هل أنت بخير يادورندا؟ لماذا أغلقت باب غرفتك بالمفتاح في الليلة الماضية؟ لم أتمكن من الدخول لاعداد فراشك . كيف نمت ؟ هل أزعجتك ؟ صدقيني لم أقصد أن أكون فضولية .»

«تمهلي ياكارولين في توجيه أسئلتك الواحد بعد الآخر . في حال انني أرفض بشدة الرد على هذا الفيض من الاسئلة قبل الاكل.»

ابتسمت دورندا وقالت لكارولين:

«تعالي . اجلسي وتناولي الفطور . السيد ولكنز سيكون هنا بعد نصف ساعة ، ويجب ألا يبدو علينا الكسل عند حضوره . انك تعلمين نظرياته في الاستيقاظ المبكر .»

كانت كارولين تبدو حائرة وفهمت اختها السبب فقالت:

«أرجوك امهليني بعض الوقت لاروي لك كل شيء .»

أحاطت كارولين دورندا بذراعيها وعانقتها .

«ليس لي الحق اطلاقاً في أن أوجه اليك أية أسئلة . وسأحاول ألا أقحم نفسي في شؤون غيري ولكن تذكري أنه اذا كان في امكاني معاونتك فلن أتردد في ذلك .»

«بارك الله فيك ياعزيزتي . ربما سألتك المساعدة ولكن لنتناول الطعام الآن وننسى .»

وصل السيد ولكنز في العاشرة ، ولم يبد أي دهشة لوجود دورندا، بل حياها بابتسامة فاترة وألقى عليها نظرة سريعة من خلال نظارته العتيقة. وأخرج من حقيبته الصغيرة وثيقة قانونية وعندما جلست كلتاهما بدأ في قراءة وصية الأب.

كانت الوصية قصيرة وفي صميم الموضوع . فكل ممتلكاته من نصيب كارولين . المنزل ومحتوياته.. بضع مئات من أسهم الشركة قلّما تحقق ربحاً وممتلكاته الشخصية . ولم يرد ذكر لدورندا . فسألت قائلة :

«إن والدي بالتأكيد لم يتجاهل دورندا تماما ؟ انها تستحق نصيباً مثلي في الميراث .»

ورد السيد ولكنز غاضباً :

«يا ابنتي العزيزة دعيني أكمل . لا أعتقد أنك تدركين ، وكذلك والدك أنه بمجرد سداد كل الديون المتعلقة لن يتبقى ما يمكن اقتسامه. طلبت

منه عدة مرات أن تتدربي على بعض الأعمال لتتمكني من اعالة نفسك اذا اضطرتك الظروف الى ذلك، لكنه دائماً كان يتجاهل الامر ويجيب بأنك سعيدة وانه يريدك قريبة منه طوال اليوم . واني لأسف لأنه كان أنانياً في نظرته. وها أنت الآن في موقف صعب جدا. والواقع أن الآنسة دورندا أسعد منك حالا . فقد أتيحت لها فرصة العمل، وأصبح مستقبلها مؤمناً في حين أنك لست مدربة أو مؤهلة لأي عمل.»

«هل تقصد اني سأضطر الى بيع البيت ؟»

تنحنح ولكنز ونظر اليها بعطف وقال :

«لا فقد نتمكن من الاحتفاظ به، لكن لن تكون هناك نقود.»

واتجه الى الباب لينصرف . ثم قال :

«سأزورك بعد بضعة أيام وسيكون في وسعي أن أتحدث بتفصيل أكثر عن موقفك المالي . لكني أنصحك يا سيدتي الصغيرة بأن تفكري جدياً في اختيار عمل . بعدئذ سيكون في وسعي تحديد المبلغ الذي أخصصه لتدريبك .»

«ماذا سأفعل ان لم تكن هناك نقود ؟ كيف أدبر حالي ؟ لابد من أن أحصل على نقود من أي مكان.»

كانت كارولين تفكر في النقود وكيف كان والدها ينفقها على شراء التحف وتذكرت في حزن ماذا كان يقول لها :

«انك ياكارولين أعظم كنز وأثمن جوهرة في مجموعة مقتنياتي.»

قطعت دورندا حبل أفكارها قائلة :

«كارولين قلت إن لدي شيئا أريد أن أقصه عليك»

فأجابت كارولين:

«نعم . أرجوك أن تتكلمي هل هو شيء يتعلق بعملك ؟»

«نعم أعتقد أنه يتعلق بالعمل بطريقة غير مباشرة . سأضطر الى تركه لفترة .»

«تتركين العمل ؟ لماذا ألست بخير ؟»

واسترسلت قائلة :

«أعلم انك في حاجة الى راحة ، وقد عدت الى بيتك لتستردي صحتك من التزامات الحياة الاجتماعية .»

ابتسمت دورندا ساخرة، وأتجهت ولزمت بالصمت فترة، حتى ظنت كارولين أنها غيرت رأيها في البوح بسرها. الا انها خرجت عن صمتها وقالت:

«سأنجب طفلا .»

قالت هذا في هدوء حتى أن كارولين اعتقدت أن الأمر مجرد مزاح . الا ان دورندا رددت الكلام نفسه ببطء ووضوح وبأسلوب لا يتطرق اليه الشك وقالت بمرارة :

«سأنجب طفلا. اني لست متزوجة ولايحتمل ان أتزوج الآن. انه لا يريدني. حاولت الاتصال به لكنه تجاهل رسالتي اليه.»

اخذت دورندا تدور في عصبية مفاجئة تحاول حبس دموعها واهتز جسدها وجثت قرب مقعد كارولين وقالت:

«ماذا أفعل ياكارولين ؟ أرجو مساعدتي . لا تتركيني . انك الوحيدة التي يمكن أن أعتمد عليها . انك كل عائلتي .»

أجابت كارولين :

«لا تبكي ياعزيزتي.طبعاً سأفعل كل ما في استطاعتي لمساعدتك . أنت تعرفين ذلك .»

لم تصدق للوهلة الاولى . هذا لا يمكن أن يحدث لأختها دورندا . انه شيء ممكن أن يحدث فقط لأناس آخرين ، ولكن ليس لأختها .

عاشت كارولين حياة بسيطة سهلة محصنّة من الجانب السّيء من الحياة في حمى أبيها ، فجعلها هذا غير مستعدة لسماع هذه القصة . ولم تتح لها ابداً فرصة تعرف منها أهي على صواب أم على خطأ . ولم يسبق أن طلب منها أحد أمر يحتاج الى سعة في الصدر أوالى تأنيب وتوبيخ ...

هزتها قضية دورندا فعانقتها معبرة عن كل الحب الذي كان يجيش في صدرها نحوها . حاولت تهدئتها وانتظرت حتى تنتهي العاصفة .

وعندما هدأت دورندا بدأت تروي قصتها منذ البداية :

«قابلته في حفل أقامه صاحب العمل رينيه احتفالاً بعيد ميلاده . لم يكن صديقاً له تماماً ولكنه كان يقيم معه أثناء وجوده في لندن للعمل الذي أرسلته الشركة فيه . كان وسيم الشكل أسمر اللون فارع الطول على غير عادة الايطاليين.»

وهنا انطلقت كارولين :

«اذن فهو ليس انكليزياً .»

«كان نشطاً مرحاً. ليس في وسعي أن أقول كيف أحببته يا كارولين.»

واضطرب صوتها ثم واصلت :

«يمكنني أن أجزم بأنه أحبني ولم يخرج معي لقضاء وقت ممتع فقط. كنا نرقص ونتناول العشاء ونذهب الى المسارح وذات ليلة...»

وهنا توقفت دورندا وكأنها تتذكر.

«ذات ليلة عدنا من المسرح وأخذني الى المنزل وتناولنا قليلا من المرطبات وانتشينا بالسعادة والحب المتبادل وعندما وصلنا الى مسكني طلبت اليه أن يتناول فنجاناً من القهوة فرفض في باديء الأمر.لكنه دخل في النهاية وأمضى كل الليل.»

كانت دورندا تروي قصتها دون أن تنظر الى كارولين ، ولكنها لم تلبث أن التفتت وحدقت في عينيها قائلة :

«كنا شابين عاشقين وسنتزوج. وفي اليوم التالي أخذني واشترى لي هذا الخاتم. وفي اليوم التالي كان ينوي أن يطير الى افريقيا ثم الى كندا حيث يمضي ستة أشهر في بعض الأعمال. ثم يعود الى شركته في روما ومنها الى انكلترا ليأخذني الى ايطاليا لمقابلة اسرته هناك قبل أن نتزوج. وفي الأسابيع الأولى القليلة كان يكتب لي يومياً. وكنت في غاية السعادة أشتري قطع الجهاز تدريجياً وانتظر عودته. ومنذ أربعة أسابيع وأثناء وقوفي في الصباح أمام رينيه ليرسمني أصابتني اغماءة فصمم رينيه على أن يرسلني الى طبيبي. وبعد الكشف عليّ أخبرني

انني حامل فتحطمت. وفي تلك الليلة كتبت الى فينو واطلعته على الخبر ومنذ ذلك الحين انقطعت رسائله. انه لا يريد الطفل ولايريدني. كل ما كان يريده هو اللهو. والعبث.»

كان الألم البادي في عينيها مصدر عذاب لكارولين . انكبت دورندا بوجهها على ركبتي كارولين كأنها تستسلم لدموعها . سكتت تماماً واعتقدت كارولين بأن النوم غلبها، الا أنها حركت يدها وبسطتها فأمسكت بها كارولين وسرت حرارة يدها في أصابعها الباردة .

أستطردت دورندا قائلة :

«هل صدمتك يا كارولين ؟»

«اعتقد أنني صدمت باديء الأمر أما وقد أوضحت لي ماحدث وفسرّت شعورك نحوه فقد اتضح الأمر . أنا ليست لي خبرة في الحب مثلك ولكنني اعتقد أن الحب معناه العطاء فكلما زاد حبك زادت رغبتك في العطاء .»

وتنهدت دورندا ونظرت اليها في محبة وقالت:

«انك ملاك ياكارولين . ذات يوم ستجعلين زوجك سعيداً حقاً . وأتمنى أن يكون جديراً بك .»

لكن كارولين لم تعرها أذناً صاغية فقد كانت تفكر في طريقة يمكن بها التغلب على هذه المشكلة التي لم يسبق لها ان عالجت مثلها . يجب ان تؤمن لأختها كل اسباب الراحة في اثناء فترة الحمل وبعد ان تتم عملية الولادة.

٢ ـ لا اريد طفلي !

أمضت كارولين ليلتها التالية تحاول أن تجد حلا لمشكلة اختها وبطيبة قلبها المعتادة حملت على منكبيها همّ دورندا . لكنها لم تستطع الاهتداء الى حل يسمح لها بأن تبقى في المنزل مع دورندا، وفي الوقت نفسه تكسب نفقات معيشتها .

وأمضت دورندا كذلك ليلة أرقة .

وعندما أزاحت كارولين ستائر المطبخ غمرت الشمس المكان وشعرت بارتفاع في معنوياتها .

بدأت تدندن أثناء اعداد طعام الفطور لدورندا ولنفسها.وقد جهزت بها صينية لتصعد بها الى الطابق الاعلى .

ودق جرس التليفون . فرفعت السماعة :

«كارولين ؟ الحمد لله أنا أعرف أن لدي جرأة كبيرة لازعاجك بهذه الطريقة ولكن هل يمكنك أن تأخذي الطفلين المزعجين مرة ثانية هذا الصباح ، اتصل بي المزارع براون وأخبرني أن أحسن افراسه ستلد ويبدو أنها ولادة عسيرة . ولم تحضر بعد الفتاة البائسة كاريغا لترعى

الطفلين وليس في وسعي أن أصطحبهما معي.»

ضحكت كارولين وقالت :

«أنت تعلمين أنه لا داعي للاتصال بي تليفونياً مسبقاً . عليك احضارهما الى هنا وأنت في طريقك الى مزرعة براون ، وكم أرغب صحبتهما .»

«بارك الله فيك يا ابنتي . كنت على ثقة من انه يمكن الاعتماد عليك . حقاً لا بد أن أعترف بالجميل لأي شخص يرعى الطفلين المزعجين دون أن يصاب بانهيار عصبي . اذا كان هذا يناسبك سآتي بهما خلال نصف ساعة . الى اللقاء .»

عندما انتهت المحادثة التليفونية ظهرت دورندا في أعلى السلم وقالت :

«مع من كنت تتحدثين ؟ سمعت نبرات صوتها من غرفة نومي. هل شب حريق وسبب هياجها ؟.»

ضحكت كارولين وقالت :

«انها ليست ناراً واحدة . انها كرتان ملتهبتان من النيران وسوف تنزلان علينا بعد نصف ساعة ، اسرعي وتناولي طعام الافطار اذ انك لن تكوني في سلام عند وصولها .»

وبينما كانت دورندا تتناول طعام الفطور شرحت لها كارولين المأزق الذي وقعت فيه صديقتها جين مارتن :

«ان جين تعمل جراحة بيطرية في منطقتنا . وقد بدأت ممارستها لهذا

العمل هنا منذ ثلاث سنوات . وبعد مضايقات كثيرة تحملتها من مزارعي المنطقة أثناء مباشرتها لمهنتها لكونها امرأة استطاعت أخيراً أن تثبت أنها من أحسن الأطباء البيطريين الذين عملوا في هذه الجهات، وقد عرف المزارعون الآن قدرها حتى انهم توسلوا اليها بعد زواجها ألا تترك العمل . ولما كان زوجها ضابطاً بحرياً يذهب في رحلات طويلة في أغلب الوقت ، فقد استمرت في عملها . فلما وضعت التوأمين منذ ثمانية عشر شهراً عانت مشقة كبيرة من استمرارها في العمل . ولكن حب الناس لها جعلها تبادر الى تلبية كل ما يطلب منها المزارعون..»

وفي هذه اللحظة سمعنا باب سيارة يغلق بعنف وصوت اندفاع شديد في ممشى الحديقة والطفلان يناديان

«خالتي كارولين ، خالتي كارولين !»

ألقى الطفلان بجسديهما الصغيرين على كارولين وبينما هي تحتضنهما وتقبلهما اندفعت أمهما الى المطبخ وبدأت تقول :

«أكون سعيدة لو كسرت رقبة تلك الفتاة !»

«لم تقولي لي يا كارولين إن لديك زائرة ، اذن لكنت قدرت الظروف وأعفيتك من عبء هذين الطفلين .»

وألقت نظرة اعتذار الى دورندا ، لكن دورندا قالت :

«أرجوك يا سيدة مارتن ألا تغيري رأيك بسببي. أنا متأكدة من أنني والتوأمين سنكون في وئام. أضافة الى أنني لست زائرة فأنا أعيش هنا.

وكارولين هي أختي.»

مدت جين يدها وقالت :

«لا بد أنك دورندا . سمعت الكثير عنك من كارولين حتى انني أشعر انني أعرفك من قبل . أرجوك أن تناديني بأسمي مجرداً جين واذا لم يضايقك ذلك فانني سأناديك دورندا.»

ولما تأكدت الأم من ترحيب كارولين ودورندا بولديها توجهت الى سيارتها وحين همت بركوبها نادت على كارولين قائلة :

«فاتني أن اخبرك أن تلك الفتاة الفظيعة التي كانت ترعى الولدين اشتغلت في مصنع الأحذية ولم تهتم بأن تخطرني بذلك . وفي هذا الصباح كتبت لي كلمة وضعتها في صندوق البريد وهي لم تستطع حتى أن تواجهني . سوف أمزقها إرباً عندما أراها.»

وانطلقت بسيارتها متذمرة .

قالت دورندا :

«يالها من طفلين حبيبين أليسا رائعين حقا ؟»

وافقتها كارولين وهي تضحك ثم التقطت أقرب الطفلين وأجلسته في حجرها . وخطرت في بالها كلمات جين الأخيرة فقالت:

«ان هذا يعني أن جين تبحث عن شخص يرعى الطفلين بصفة دائمة.»

كفت دورندا عن مداعبة الطفل الآخر وقد انتابها شيء من الدهشة اذ بدت على وجه كارولين انفعالات تتراوح بين الاثارة والابتهاج .

وردت قائلة :

اعتقد ذلك. لكنني اخشى من اغراءات الأجور الكبيرة في مصنع الأحذية في نيوهام ، ان من شأنها أن تقلل من فرص الاهتداء الى من يخدمها . وفي اي حال فان فتيات اليوم يتطلعن الى أعمال أرقى من خدمة المنازل ورعاية الأطفال .»

قالت كارولين وهي منفعلة :

«ألا ترين ؟ يمكنني أن أقوم بهذا العمل ، سبق لي ورعيت هذين الطفلين طويلا وأنا أعلم أنها لن تعترض على ذلك . اضافة الى أنني أحب هذا العمل وأعلم أنها تدفع عن ذلك أجراً كبيراً . يمكنني البقاء معك هنا طوال اليوم واني واثقة من أن جين لن تعترض على احضار الطفلين هنا بدلا من أن أذهب الى بيتها . في ظني ان تعتقن ذلك ؟»

«لا أسمح لك بأن تكرسي حياتك للأعمال المنزلية وأنت في سنك المبكر هذه. يجب أن تنطلقي الى العالم مع من هم في سنك وترددي على الحفلات الراقصة وتلتقي بالشبان .أما أنا فقدت حدت عن الطريق الصحيح ولا أنوي أن أجعلك تعانين بسبب أخطائي .

وضعت دورندا يدها على كتف كارولين ووضعت قبلة على جبينها وكأنها تنهي المناقشة . وقالت :

«سأدبر الأمر بطريقة ما .»

لكنها كانت مخطئة فالمناقشة لم تنته . لم يكن عند كارولين اية نية للتنازل بسهولة عن فكرتها ، ولم يكن لديها ميل لأي عمل

اقترحته أختها. ذهلت دورندا من تصلب رأيها الذي جابهتها به . وبعد ساعات من الجدال رفضت كارولين فكرة دورندا بأنها في حاجة الى مقابلة الشبان وقضاء وقت من الترويح عن النفس وما الى ذلك .

وأخيراً، وبعد هجوم جديد من كارولين استسلمت وقالت :

«حسناً . حسناً . فزت يا كارولين اذا كنت تقدّرين تماماً ماتقولين . لقد استسلمت.»

توجهت كارولين الى مقعد دورندا وجثت في قربها وقالت :

«يجب أن تعترفي بأنه حل رائع . بالنسبة الى الحب واللهو فأنت تعلمين جيدا انني كنت دائماً سعيدة بالبقاء في المنزل مع والدي ولم أقابل أبداً رجلا راقني .»

ثم استطردت بصراحة قائلة :

«أعتقد أني فتاة عانس بطبيعتي .»

ابتسمت دورندا وأخذت تتخيل كارولين بعد خمسين عاماً وهي عانس وفي بيت في الريف تحيط بها القطط . شعرت دورندا بحب يجيش في قلبها نحو كارولين وبشيء من الخجل عندما تصورت لو أن الأوضاع انعكست ، هل كانت تضحي بنفسها وباخلاص في سبيل كارولين مثلما فعلت . وكادت الدموع تسقط من عينيها . ثم وقفت ووضعت يديها على كتفي كارولين وقالت لها:

«أتمنى أن أرد لك وفاءك نحوي في يوم من الأيام . ليس لأحد أخت أروع منك .»

«هيا لنتناول بعض الطعام . انني جائعة .»

كانت الأشهر التالية سبباً في تغير دورندا تغيراً مثيراً اذ تحول قوامها النحيل المشوق الى قوام كروي لأمرأة تبدو من الوهلة الاولى في حالة حمل . ولم تضع أي خطة أو ترتيبات لقدوم مولودها.

كانت كارولين تصنع ملابس تريكو صغيرة وجوارب وقفازات للمولود الاتي .

اما دورندا فكانت تبدو عليها الكآبة مما جعل كارولين في قلق، فصممت على استدعاء الدكتور توماس طبيب العائلة لاجراء فحص عام لاختها وجاء التقرير صريحاً :

«من الناحية البدنية صحتها كالحصان ، لكنني قلق على حالتها النفسية . أين زوجها؟.»

ارتبكت كارولين . لاتستطيع ان تفشي سر دورندا التى وثقت بها فراوغته قائلة :

«في عمل في الخارج .»

«آن الأوان لتكتبوا اليه ان يعود ويرعى زوجته . انها تتألم بسبب غيابه عنها وهذا هو مصدر ازعاجها . انها تتألم . اذا لم يحضر عاجلا فلن أكون مسؤولاً عن العواقب .»

ثم حمل حقيبته وانصرف . وعندما هم بدخول السيارة قال :

«سأزوركم في الاسبوع القادم . سأطلب من نورا ماسون أن تزوركم أثناء عيادتها لمرضاها . في مصلحة أختك أن تتعرف على القابلة قبل

موعد الولادة ، اذ ستجعلها تقوم ببعض التمرينات الرياضية ، وتجري لها بعض الفحوص العامة .»

كانت كآبة دورندا وعدم مبالاتها وتكرار تنهداتها أثناء نومها ليلا نتيجة تصرفات فيتو فيكارى الخسيسة . دورندا مازالت تحبه برغم أن سلوكه لم يكن مهذباً .

صعدت كارولين الى غرفة دورندا حيث كانت مستلقية على فراشها فاترة الهمة وقد عزمت على أن تحاول ملاطفة دورندا مرة أخرى وجعلها تكتب رسالة اخرى الى حبيبها .

«ما رأيك لو بعثت برسالة اخرى الى حبيبك ؟ ربما حدث شيء لرسالتك الاولى ، اذ فالرجل يطوف حول العالم والله وحده يعلم ما يمكن أن يكون قد حدث له ، وليس من العدل أن تحكمي عليه من رسالة واحدة ربما لم يتسلمها .»

ولاحظت أن هناك شيئاً من الاهتمام بدا على وجه أختها دورندا فقالت:

«لماذا لا تكتبين . ربما كان مريضاً في المستشفى أو وقع له حادث .»

وبدت نظرة ذعر على وجه دورندا مما أعطى كارولين أملا جديداً وصدق حدثها . فقد لجأت دورندا اليها وهي حزينة وقالت :

«هل تعتقدين حقاً أنه ربما يكون طريح فراش المرض في جهة ما من دون ان تكون هناك وجود وسيلة للاتصال به؟ آه أتمنى ألا يكون مريضا . او ان يكون وقع له أى حادث . في اي حال سيبحث عنه

ابن عمه اذا ما حدث له ذلك .»

سألت كارولين :

«ابن عمه ؟ انني لم أسمعك تذكرين ابن عمه . هل قابلته؟.»

لا لم أقابله . كارولين هل تظنين أن حادثاً وقع لفيتو ؟ يجب أن أعرف. فلعله يرقد مريضاً في مكان ما . بل لعله مات!.»

شحب لون وجه دورندا وتولاها الذعر وطلبت من كارولين أن تأتي لها بحقيبة الرسائل من فوق منضدة التزين .

ولم تلبث أن استغرقت في كتابة الرسالة وهبطت كارولين السلم بخطوات مرحة راضية عن نفسها وبدا لها ان دورندا ستتغلب على الكآبة وتعيش حياتها مرة أخرى .

بعد ما بعثت بالرسالة ، كانت دورندا انسانة مختلفة تماماً عما كانت عليه . كانت تبدو وكأنها تتشبث بالتعليل الذي ساقته كارولين لعدم وصول رد فيتو على خطابها ، تماماً كما يتعلق الغريق بقشة .

تحدثت كثيراً عن جنينها وقالت إنها ستطلق عليه اسم فيتو نسبة الى والده . وطلبت شراء عربة أطفال وسريراً خفيفاً من النوع الذي يمكن نقله وفكرت جدياً في شراء دمية ، دب صغير وكانت امارات القلق تبدو واضحة عليها كلها وجهت سؤالها المتلهف الى كارولين كل صباح :

«هل في بريد اليوم رسالة لي ياكارولين ؟.»

ولم تذكر اسم فيتو ولو حتى مرة واحدة بعد أن بعثت اليه بالرسالة.

وكان الخوف يعتصر قلب كارولين كلما اقتربت نهاية الأسابيع الخمسة دون وصول الرد.

بعد انقضاء سبعة أسابيع عادت دورندا الى كآبتها وأخذت تبكي بحرقة كل ليلة حتى اعتقدت كارولين انها ستموت من التعاسة .

ولامت نفسها قائلة :

«هذا كله بسببي . كان عليّ ان ادع الامور كما هي لعلها استطاعت أن تتغلب عليها . ولكني كنت على يقين من أن لسكوته سبباً لأن دورندا لا يمكن أن يكون تقديرها قد ساء الى هذا الحد بالنسبة الى الرجل الذي أحبته . انني أبغضه لأنه تسبب في تعاستها ولن أغفر له ذلك أبدا .»

وغمرتها الحسرة . وخيل اليها أن شخصاً ما يناديها فرفعت رأسها ، وبعد لحظة ترقب سمعت نداء دورندا لها :

«كارولين ، كارولين !.»

انطلقت بسرعة الى غرفة دورندا . كان الليل في بدايته ورأتها تعصر خاصرتها من شدة الألم . ولم تكد ترى كارولين حتى لهثت قائلة :

«أسعفيني بطبيب لأنني اعتقد انني سأضع .»

اندفعت الى الطابق الأرضي حيث التليفون واتصلت بالطبيب ، الذي ما لبث ان حضر ومعه نورا ماسون .

كانت كارولين جالسة في جوار دورندا تمسح العرق المتصبب على

وجهها الشاحب وهي ممسكة في الوقت نفسه بيدها المرتعشة تلاطفها قائلة:

«لا تخافي ياعزيزتي سأظل معك وسينتهى كل شيء على خير.»

«لست حريصة على الطفل . ألا ترين ؟ أريد أن أموت . فلم يعد لدي ما أعيش من أجله .»

«لا أظن أنك تعنين ما تقولين . ؟ وماذا عن الطفل ؟»

«ربما مات هو الآخر . فالأمر بكل بساطة هو أنني لا أبالي بشيء يا كارولين وسيكون ذلك أفضل . تظنين انني لم الاحظ ما حل بك بسببي ولكن هذا غير صحيح . حاولت أن تكوني مرحة وسعيدة من أجلي بينما كنت طوال الوقت قلقة حتى الموت . وأستطيع أن اؤكد بأنك كنت تبكين أيضا .»

دخل الطبيب و نورا ماسون غرفة النوم وخاطب الطبيب دورندا بحزم قائلا :

«لو سمحت يا سيدتي ، كفى بكاء والا وضعت طفلا لا ينقطع عن البكاء ويزعجك طوال الليل بنوبات غضبه . أخرجي يا كارولين . أنا ونورا نستطيع أن ندبر الأمر وسندعوك عند الحاجة .»

وفجأة انطلق صوت مدو تبعه خروج المولود . فانطلقت كارولين تعدو مسرعة الى الطابق الاعلى فلما بلغت باب غرفة النوم كانت نورا تطل برأسها من خلاله ، وعلى وجهها ابتسامة عريضة وهي تقول :

«انه ولد له عينان سوداوان جميلتان ، وله خصلات من الشعر الأسود.»

وبعد خمس دقائق كانت كارولين تحدق في ابن أختها . ثم قالت لدورندا :

«أليس هذا أجمل مخلوق رأيته في حياتك ؟»

دعا الطبيب كارولين الى الخروج من الغرفة وسألها وهو متجهم:

«هل استدعيت والد الطفل ؟»

ارتبكت كارولين وهي مازالت منزعجة من عدم اكتراث دورندا وابتلعت ريقها قبل أن تجيب :

«نعم لكن تعذر عليه الحضور .»

رماها الطبيب بنظرة حادة وقال :

«تصرفات دورندا لا تعجبني . ليس في وسعك التأثير على زوجها العابث الملعون ؟ فهي في حاجة اليه .»

لم تجب كارولين بل هزت رأسها . فقال الطبيب متعاطفاً معها :

«لا تقلقي كثيراً يا ابنتي . لقد تحملت ما هو فوق طاقتك وقد حان الوقت لتتزوجي شاباً يحمل عنك هذا القلق .»

صادفت كارولين في الأيام التالية مشقة بالغة فقد كان عليها أن تواصل العمل في غسل ملابس الطفل واعداد رضعاته واعداد مشروبات ساخنة وألوان من الطعام مغرية لدورندا . ولم تكن تتناول من الطعام الا القليل لتوهم دورندا بأنها تناولت وجبة كاملة وتشبع في نفسها الرضى . أما فيتو الصغير فكان يبكي بلا انقطاع ، كما تنبأ له الطبيب . ومضت أربعة أيام حسبتها كارولين شهراً ولم

ابن عمه اذا ما حدث له ذلك .»

سألت كارولين :

«ابن عمه ؟ انني لم أسمعك تذكرين ابن عمه . هل قابلته؟.»

لا لم أقابله . كارولين هل تظنين أن حادثاً وقع لفيتو ؟ يجب أن أعرف. فلعله يرقد مريضاً في مكان ما . بل لعله مات!.»

شحب لون وجه دورندا وتولاها الذعر وطلبت من كارولين أن تأتي لها بحقيبة الرسائل من فوق منضدة التزين .

ولم تلبث أن استغرقت في كتابة الرسالة وهبطت كارولين السلم بخطوات مرحة راضية عن نفسها وبدا لها ان دورندا ستتغلب على الكآبة وتعيش حياتها مرة أخرى .

بعد ما بعثت بالرسالة ، كانت دورندا انسانة مختلفة تماماً عما كانت عليه . كانت تبدو وكأنها تتشبث بالتعليل الذي ساقته كارولين لعدم وصول رد فيتو على خطابها ، تماماً كما يتعلق الغريق بقشة .

تحدثت كثيراً عن جنينها وقالت إنها ستطلق عليه اسم فيتو نسبة الى والده . وطلبت شراء عربة أطفال وسريراً خفيفاً من النوع الذي يمكن نقله وفكرت جدياً في شراء دمية ، دب صغير وكانت امارات القلق تبدو واضحة عليها كلما وجهت سؤالها المتلهف الى كارولين كل صباح :

«هل في بريد اليوم رسالة لي ياكارولين ؟.»

ولم تذكر اسم فيتو ولو حتى مرة واحدة بعد أن بعثت اليه بالرسالة.

وكان الخوف يعتصر قلب كارولين كلما اقتربت نهاية الأسابيع الخمسة دون وصول الرد.

بعد انقضاء سبعة أسابيع عادت دورندا الى كآبتها وأخذت تبكي بحرقة كل ليلة حتى اعتقدت كارولين انها ستموت من التعاسة .

ولامت نفسها قائلة :

«هذا كله بسببي . كان عليّ ان ادع الامور كما هي لعلها استطاعت أن تتغلب عليها . ولكني كنت على يقين من أن لسكوته سبباً لأن دورندا لا يمكن أن يكون تقديرها قد ساء الى هذا الحد بالنسبة الى الرجل الذي أحبته . انني أبغضه لأنه تسبب في تعاستها ولن أغفر له ذلك أبدا .»

وغمرتها الحسرة . وخيل اليها أن شخصاً ما يناديها فرفعت رأسها ، وبعد لحظة ترقب سمعت نداء دورندا لها :

«كارولين ، كارولين !.»

انطلقت بسرعة الى غرفة دورندا . كان الليل في بدايته ورأتها تعصر خاصرتها من شدة الألم . ولم تكد ترى كارولين حتى لهثت قائلة :

«أسعفيني بطبيب لأنني اعتقد انني سأضع .»

اندفعت الى الطابق الأرضي حيث التليفون واتصلت بالطبيب ، الذي ما لبث ان حضر ومعه نورا ماسون .

كانت كارولين جالسة في جوار دورندا تمسح العرق المتصبب على

تعر دوروندا طفلها أي اهتمام بل هي امتنعت عن ارضاعه أو احتضانه .

وحاول الدكتور توماس أن يطمئن كارولين لكن القلق ظهر عليه عندما قال لها :

«اتركيها هنيهة لتستجمع قواها فجرحها لن يبقى الى الأبـد . هذه صدمة عاطفية جعلتها تبتعد عن العالم . وأنا واثق من أنها ستعود الى طبيعتها بمجرد وصول هذا الزوج .»

واستعادت وعيها على صوت بكاء الطفل فبادرت الطبيب قائلة:

«الى اللقاء»

دون أن ترد على سؤاله . وأسرعت الى فيتو الصغير ، فهو لا يبكي الآن الا اذا جاع ، عكس الأيام الأربعة الأولى التى كان صراخه فيها يعلو حتى يزرق وجهه . وكانت نورا ماسون ترى أن هذا مجرد انفعال ، لكن كارولين كانت تعتقد أن الطفل انما يصرخ لحاجته الى حنان أمه الذى حرم منه .

وتساءلت للمرة الألف :

«كيف تستطيع دوروندا مقاومة حبه ؟ انها لو حملته مرة واحدة لما عادت تستطيع الابتعاد عنه .»

في اليوم التالي حملت كارولين الطفل الى أمه وهي راقدة في فراشها، وكانت تنظر الى النافذة في كآبة وفي جرأة دفعت بالطفل الملفوف الى أحضان أمه متوسلة اليها:

«أرجو أن تحمليه لحظة يادوروندا ريثما أختبر درجة حرارة المياه.»

«لا ، لا! ابعديه عني . اني أرفض أن تكون لي أي علاقة به .»

ثم ألقت بنفسها واستسلمت الى البكاء . فانتزعت كارولين الطفل منها بسرعة وضمته الى صدرها ونزلت به الى الطابق الأسفل بعيداً عن نظر الأم ، وهمست له وهي تنظر اليه منهارة :

«آه ياحبيبي . كيف يمكننا أن نساعد امك ؟»

ومرت بيدها برفق على وجنته الناعمة الملمس ، وهمست له وكأنما تأخذ على نفسها عهداً :

«سأرعاك يا حبّي الصغير . واذا كان لابد من أن أكرس حياتي لك ، فسأفعل ذلك . سأكون لك دائماً.»

وكفت دوروندا عن البكاء ، الا أنها عادت الى التحديق عبر النافذة الى الأفق ، ولما دخلت كارولين غرفة النوم حاملة صينية الفطور ، تذرعت دوروندا بالرقة وبدا عليها شيء من الخجل . فأخذت كارولين تثرثر معها مغتبطة وهي تتأهب لوضع الصينية على الفراش وكأن لم يبدر من ناحيتها شيء مزعج . بل لقد حاولت أن تعتذر :

«أنا آسفة يا كارولين . كنت في ثورة غضب . لابد أنك مللتني . سأهبط بعد تناول الفطور الى الطابق الاسفل وأساعدك في الأعمال المنزلية والطهي وأعمل كل ما تريدينه مني . ولكن أرجو ألا تطلبي مني العناية بالطفل .»

«حسناً لا تفكري في العناية بفيتو الآن يادوروندا . حسبك أن تهتمي باسترداد صحتك . سيكون الدكتور توماس سعيداً بأن يراك تحاولين

النزول الى الطابق الاسفل . قال أمس إن خير ما أفعله هو أن أشجعك على ارتداء ملابسك وعلى القيام بشيء من الحركة .»

وأضافت بلهجة التحذير :

«لكن اياك أن تقومي بأي عمل من الأعمال المنزلية . حسبك الان أن تجلسي على مقعد في الحديقة وتستفيدي من أشعة الشمس.»

كانت دورندا مسترخية في مقعد مريح في الحديقة وفي يدها كتاب اعطته اياها كارولين على أمل أن يحفزها الى الاهتمام بالأزياء الطريفة وأحدث الاتجاهات الحالية للموضة في لندن وأوساطها الراقية .

مر موزع البريد وهو يصفر ثم وضع شيئاً ما في صندوقة البريد. وبحركة تلقائية أدارت دورندا رأسها بينما اتجهت كارولين ببطء الى الصندوقة لتلتقط منها رسالة .

كان وجه دورندا يعلوه شحوب واضح وهي تتسلم الرسالة وردت على التساؤل المكتوم لكارولين بهزة رأس بطيئة وشعور بالكآبة :

«انها من رينيه . ترى ما الذي يريده ؟.»

كانت خيبة أمل كارولين كبيرة . كانت تتمنى أن تكون الرسالة من فيتو فيكاري . ثم دخلت الى البيت وتركت الرسالة لأختها تطالعها .

وبمرور الأيام ، أحست بشيء من الألم لأن دورندا لم تشأ الافضاء اليها بمضمون الرسالة . لكنها كانت تعزي نفسها . فكل يوم يمر يعيد الى وجه دورندا لونه الطبيعي برغم من أنها ظلت تميل الى الصمت .

استمرت جين في احضار التوأمين . وعندما تأملت كارولين الساعة تبين لها أنهم تأخروا عن موعد وصولهم حوالى نصف ساعة. فقطبت جبينها قلقاً وتساءلت ماذا حدث لهم ولم تكد تسمع صوت السيارة تقف أمام المنزل حتى زايلها القلق وانطلق الطفلان يدفعان الباب متجهين الى كارولين ، ولحقت بهما والدتهما. كانت جين شديدة الانفعال . ابتسمت كارولين ودعتها الى الجلوس .

قالت جين :

«وصلتني اخبار حسنة سيترك جيم عمله في البحر ويلتحق بعمل هنا . كتب لنا يقول انه لم يعد قادراً على تحمل الفراق ويوم الجمعة القادم سنقابله في سوث هامتن ثم نذهب لنبحث عن مسكن ونظل في الفندق حتى يقوم هو بكل الترتيبات اللازمة . آه يا كارولين ليس في وسعي أن أصف لك كم أنا سعيدة .»

وسألت كارولين :

«وما مصير عيادتك عندما ترحلين ياجين ؟»

«هذه ضربة حظ أخرى . أتعرفين أن مزارع والد الشاب كولين غرانت تقع على بعد خمسة أميال من هنا ؟ تخرج ابنه أخيراً من المدرسة البيطرية وهو يبحث عن عيادة في مكان قريب من هنا. وقد سألني والده من أيام ان كنت أرغب في بيع العيادة ، فاستمهلته حتى أفكر في الأمر . وقد قررت ان اوافق .»

ومضت بسيارتها وهي تلوح لكارولين مبتسمة .

كانت دوروندا في الحديقة عندما كانت جين تتحدث الى كارولين .

روت لها كارولين ما اطلعتها عليه جين ففرحت لهذه الأخبار لكنها اضطربت فجأة وقالت :

«لكن كيف ندبر امورنا بعد ما تتوقف جين عن طلب مساعدتك.»

«لا تقلقي. سندبر أمرنا وفي أي حال فان الأشهر القادمة ستكون أشهر خير لنا فالحديقة عامرة بالخضر وأشجار الفاكهة لن تلبث أن تنضج ثمارها. لن نجوع يا عزيزتي.»

لكن دوروندا لم تقتنع وعضت على أسنانها في قلق ، ثم قالت :

«سيكون على إحدانا أن تجد عملا .»

وحدقت في عربة الطفل الواقفة في ظل شجرة في أقصى الحديقة . ثم أشارت بأصبعها اليها قائلة :

«هذا يعني أنني سابقى معه لو ذهبت أنت الى العمل .»

لو لم تكن كارولين تعرف أن تصرف اختها سببه حالتها العصبية لعملت الى توبيخها لاهمالها لطفلها . أما وهذا واقع الحال فقد وضعت نصب عينيها تعليمات الطبيب توماس الذي قال لها :

«ان الزمن كفيل بعلاج كل شيء . قد يصعب عليك تصديق ذلك ياكارولين ولكن متى بلغت سني أدركت صحة هذا القول.»

قالت كارولين :

«ليس لديّ نية في تركها .»

سرعان ما بدأت جين والطفلان رحلة الذهاب الى موطنهم الجديد

فقد تم كل شيء حسب الخطة بالنسبة للعيادة وبيع المنزل والأثاث ، وأخيراً جاء يوم الوداع . وصممت كارولين على أن تذهب الى محطة السكة الحديد لتكون في وداعهم . وفي الليلة السابقة لرحيلهم اتفقت مع دوروندا على أنها ستمضي الجزء الأكبر من الصباح بعد توديعهم في شراء بعض الأشياء الضرورية وفي زيارة احدى صديقاتها التي أهملتها، ووافقت دوروندا على هذه الخطة بنفس راضية وقالت لها ـ وهو أمر لم يكن متوقعاً منها. ان لا ضرورة لأستعجال أعمالها في المدينة أو للاسراع بالعودة ، لأنها ستجد في العزلة بعض السعادة .

كان الرصيف الذي يقف فيه قطار جين مزدحماً فاسرعت كارولين تتقدم الى الأمام .

وودعت كارولين الطفلين بنظرة مكتئبة وانتظرت في مكانها حتى اختفت آخر عربات القطار .

اشترت حاجاتها ولم تتوقف لتشاهد الأزياء الصيفية .

كانت قد اتصلت تليفونياً بصديقتها الين سوندرز واتفقتا على أن تذهب اليها في أقرب فرصة . وكانت تقيم مع زوجها جيم في منزل شبه منعزل في أطراف المدينة .

وأسرعت الين الى باب الحديقة تفتحه لكارولين التي كانت تحاول أن تدفع عربة الطفل أمامها .

تناولت الفتاتان الغداء وثرثرتا ما فيه الكفاية . لقد مر الوقت سريعاً .

شعرت كارولين بأن الوقت حان لرحيلها . ولكن جيم أصر على توصيلها الى منزلها بسيارته . وعندما ألحت الين في البقاء استجابت لطلبها وبعد العشاء أصرت كارولين على الانصراف .

ثم لوحت بيدها لصديقتها وجلست في المقعد الأمامي بعد أن وضعت فيتو في المقعد الخلفي .

استبدت الحيرة بكارولين عندما وصلوا الى المنزل ورأته مظلماً . وفي بادىء الأمر عللت ذلك بأن دورندا لا بد أن تكون في الخارج، لكنها سرعان ما تذكرت أن ذلك غير معقول . دخلت المنزل ، ونادت بصوت مرتجف :

«دورندا أين أنت ؟»

ولم تسمع جواباً فأعادت النداء :

«دورندا هل أنت هنا ؟»

كان المنزل ساكناً . وضعت كارولين فيتو على مقعد في غرفة الجلوس ثم صعدت الى الطابق الاعلى لتستوضح الأمر ، فلعل دورندا أحست باعياء وذهبت لتنام ، لكن غرفة النوم كانت خاوية. أخذت الهواجس والوساوس تنتابها .

أسرعت الى الطابق الاسفل ودخلت المطبخ حيث وجدت كل شيء مرتباً . كان واضحاً أن دورندا نظفت كل شيء وغسلت الاطباق لكنها وجدت الطعام الذي تركته لدورندا في مكانه .

ثم رأت رسالة على الطاولة فهرعت تفضها وقرأت :

« عزيزتي كارولين ،

لا أدرى اذا كنت ستسامحينني على ما صممت أن افعله لكنني قررت. سأرحل واعتقد ان هذا هو الصحيح . الرسالة التي تسلمتها من رينيه يعرض علي فيها عملا جديداً معه يقتضي سفري كمندوبة الى بلاد كثيرة. وفي اعتقادي انني لو وافقت فستتاح لي فرصة لكي أرى أو أسمع أخباراً عن فيتو . اذا قابلته واكد انه لم يعد راغباً في فسأعود . لا تحاولي العثور عليّ فلن أعود قبل أن أجده . لا أستطيع اعطاءك عنواناً لأنني سأنتقل من مكان الى آخر أسبوعياً لكنني سأرسل لك نقوداً على قدر استطاعتي .»

مع كل حبي

أختك المعترفة بجميلك

دورندا

٣ ـ الزائر !

بدأ النهار جميلا وقد أشرقت الشمس منذ الصباح الباكر حتى اذا اقترب المساء فقد الجوّ حرارته . وانبعث العطر من الجوانب المزهرة حيث استلقت كارولين على وجهها في الحديقة تحت شجرتها المفضلة . وأخذ فيتو الطفل العنيد البالغ من العمر ستة أشهر تقريبا يتسلق ظهرها محاولا أن يمسك بشعرها . وكانت كارولين تضحك وهي تراوغه وتمازحه لتمنعه كلّما مدّ يده نحو شعرها .

لم تسمع كارولين صوت السيارة الهادر عند وقوفها أمام باب المنزل ، ولم تنتبه الى الرجل الذي أخذ يراقبها بعينين حادّتين .

كان انتباهه مركزاً على كارولين وطافت عيناه بخصلاتها الذهبية الخالصة ووجهها الجميل الجذاب . ثمّ ألقى نظرة خاطفة على عينيها الملونتين بلون زهرة البانسيه وهي تتقلب محاولة تفادي قبضات الطفل.

خطا الرجل الى حيث كانت كارولين فرفعت بصرها سريعاً واذا بها تفاجأ بوجوده ، فنهضت جالسة على الحشيش الأخضر وحدّقت فاغرة الفم في هذا الغريب الأسمر الوسيم الذي وقف يرمقها :

كان طويلا وذا وجه متعجرف وكانت السخرية بادية في صوته وهو يتحدث .

«هل انت الآنسة لندسي ؟»

« نعم ، ماذا تريد ؟»

«هل هناك مكان يمكننا التحدث فيه يا آنسة لندسي ؟»

«لماذا لا نتحدث هنا ؟»

أخرج حافظة من جيبه الداخلي واستخرج منها بطاقة أعطاها الى كارولين دون أن يتكلم .

ونظرت الى البطاقة ثم شهقت في دهشة حينما ظهر الاسم أمامها فجأة كان اسمه دومنيكو فيكاري .

توّرد وجهها وهي تعيد اليه البطاقة ثم قالت له :

«تفضل معي الى البيت .»

طلبت اليه أن يجلس ريثما تعدّ له فنجاناً من الشاي . إنه من أفراد عائلة فيكاري التي ينتمي اليها . وعندما عادت كان ينظر حوله باهتمام بالغ ثم قال :

«أرى أنك تملكين تماثيل جميلة يا آنسة لندسي ، اضافة الى بعض الصور الرائعة . أهي هدايا من المعجبين ؟»

فوجئت كارولين بهذا الاسلوب الذي يعتمده في مخاطبتها . لعلّه يظنها دورندا . كان من الواضح أنه أعدّ نفسه لمقابلة فتاة متحجرة القلب تسعى وراء المال أو ترغب في قضاء وقت ممتع .

تذكرت كارولين فجأة أن دورندا ذكرت لها أن هناك ابن عم لفيتو يدعى دومنيكو وتمنّت لو استطاعت أن تسيء اليه كما أساء فيتو الى اختها. وردّت بعذوبة مصطنعة :

«ربما . فعلى الفتاة أن تنظر الى المستقبل يا سيد فيكاري وهل ثمةَ ما هو أفضل من استثمار المال فى الأعمال الفنية ؟»

رمقها بنظرة قاسية ، ثم أومأ اليها أن تجلس . وقال :

«ما مدى معرفتك بفيتو يا آنسة لندسي ؟»

كادت كارولين ان تجيب بأنها لم تعرفه ، ولا تريد أن تعرفه لكنها تذكرت فجأة ما قاله فِي ازدراء عن أعمالها الفنية كما انها كانت قد قررت أن تنتحل شخصية دورندا محاولة بذلك أن تعاقبه على موقفه .

«اعتقد انني عرفته الى المدى الذي تعرف فيه كل أم أبا لطفلها هذه الأيام . لهونا كثيراً . وتمتعت بهذه العلاقة ولكنه هجرني مع الأسف وأنا أحمل طفلا . أما فيتو العزيز فهو حر طليق بينما يحاول ابن عمه أن يصلح ما أفسده وهو يلهو . أعتقد أن هذا هو مقصدك من هذه الزيارة يا سيد فيكاري ؟ فمقصدك هو أن تعزّي أم الطفل . ترى كم مرة اضطررت الى القيام بهذا العمل الممل ؟ وهل يروقك ذلك ؟»

لم تكن كارولين مهيأة لليد التي امتدت ناحيتها وقبضت على معصمها وغرست أصابعها الفولاذية فى جلدها الناعم . كان صوته بارداً كالثلج :

«مات فيتو يا آنسة لندسي ، عندما سقطت الطائرة التي كان يستقلّها

ليصل اليك بسرعة . لو أنه انتظر ليجد مكاناً فى احدى الرحلات الدائمة لكان حيًا الآن . لقد كان حبه لك أقوى من أن ينتظر ساعات قليلة ليصل اليك . وقد شُكلت فرقة للبحث عن الطائرة بناء على رغبة زوجة القائد فوُجدت الطائرة حطاماً على بعد أميال من المدينة ولا أثر للحياة فيها .»

أظلمت عينا كارولين . ثم رفعت عينيها اليه قائلة :

«أرجوك قل إنّ ذلك غير صحيح يجب ألا يكون صحيحاً . ماذا سيكون مصير الطفل ؟ كيف أدبّي مينَ لفيتو ووالته بأكثر مما يمكنني أن أردّه لها . أرجو أن توافقيني على الخطة التى وضعت .»

نظرت اليه فِي ارتياب ثم تساءلت :

«خطّة ؟»

« انني ارى أن أسهل حلّ للمشكلة هو أن نتزوج !»

وقبل أن ينطق بكلمة أخرى هبّت كارولين واقفة وقالت بصوت صارخ :

«هل فقدت عقلك أتزوجك ؟ أفضل أن أموت .»

«بزواجنا نكفل للطفل تنشئة تتفق ومنزلة أبيه الاجتماعية وسيكون مستقبله مشرقا.»

ثم نظر بطرف عينيه الى كارولين وأضاف :

«وعندما يبلغ سن الرشد يصبح تلقائياً شريكاً فِي واحدة من أعظم شركات الاستيراد والتصدير فِي ايطاليا بل يمكنني فِي الواقع أن أقول

من أكبر الشركات في العالم . يضاف الى ذلك انه سيرث مبلغا من المال سأودعه باسمه حالما نتزوج . أتحرمينه من ميراثه لمجرد كونك تحسين نحوي بشيء من الكراهية .»

خيّمت فترة من السكون غرقت فيها كارولين في خضم من الافكار بينما كان الرجل يتأملها متفحصاً أجزاء جسمها .

استعادت كارولين رباطة جأشها وقالت :

«يا سيد فيكاري ، لا يخامرني شك في أنك صادق النية في مساعدتنا أو في أنك قادر على مدّنا بأكثر مما نطمع اليه لكن شعوري هو أنني يجب أن أرفض عرضك لأنني أشعر بأنني لن أنسجم معك ثم أنني عندما اريد ان اتزوج فانني سأختار رجلا احبه وليست لدي أيّ رغبة في الاقتران برصيد في بنك أرجوك أن تذهب الآن . لقد كانت مقابلتك تجربة بالنسبة الي .»

سارت نحو الباب وأمسكت بمصراعه مفتوحاً وانتظرته ليخرج .

وفوجئت به ينهض ليفعل ما أمرته به . وعرتها دهشة جعلتها تقف فاغرة الفم عندما رأته يتوقف لينحني لها وليقول :

«أشعر أن لدينا الكثير مما يجب مناقشته يا آنسة لندسي لكنيّ اتوقع إتصالا هاتفياً بعد أقل من نصف ساعة في الفندق ولذلك سأذهب الى هناك وبعد العشاء سأعود لأراكما ولأستكمل الحديث عن خططنا المستقبلية .»

ثم نظر اليها وقال :

«وفي هذه الاثناء سيكون لديك وقت كاف لدرس اقتراحي في تمعّن . وروية في ضوء مستقبلك ومستقبل الطفل.»

كل هذه القصة لم تستغرق أكثر من نصف ساعة . ومع ذلك شعرت كارولين بأنها عاشت حياة بأكملها ، ومرت بسلسلة كاملة من الأحاسيس. فلم تقابل في حياتها رجلا مثله استطاع بقوّة شخصيته أن يتعبها ثم يتركها وكأنها دمية ممزقة . اتجهت الى الغرفة وجلست مجهدة في الأريكة التي أخلاها . دومنيكو فيكاري منذ لحظات .

بقيت كلماته الاخيرة ترّن في أذنيها . هل من حقها أن تنكر على فيتو ما سيرثه من عائلة فيكاري ؟ عضّت على شفتيها وتفجّرت فيها المرارة التي طالما قاومتها وهي تتذكر تصرفات دورندا المجردة من كل عاطفة . ومع أن كارولين حاولت أن تلتمس الأعذار لأختها الاّ أنها كانت تحس بالأسى كلما تذكرتها .

كانت كارولين مضطربة وقلقة صباح اليوم الذي زارها فيه السيد ولكنز وكيل اعمال ابيها . كان قد اتصل بها طالبا منها التوجه الى مكتبه بأسرع ما يمكن لينقل اليها ما عنده من أخبار فلّما وقف على الصعوبات التي تصادفها في التنقل وسط المدينة هي والطفل عرض عليها أن يحضر في اليوم التالي .

قال ولكنز :

«تطوّر الأمر بطريقة الصدفة يا آنسة لندسي . لعلّك تذكرين انني أشرت الى أسهم مملوكة للمرحوم أبيك . وانه ليسعدني إبلاغك أنّ

عندي عروضاً ممتازة من زبائن يريدون شراءها . فالشركة التي استثمر فيها المرحوم والدك ماله ، فاجأت الجمهور بسلعة مرغوبة وها هي أسعار الأسهم تقفز الآن في سوق الأوراق المالية . ومع الوقت ، أعتقد أن في وسعي القول باطمئنان الى أنك ستحصلين على دخل جيدّ من استثمارك .»

وكان قد فرك كفيه في سعادة وهو يتنبأ لها بحظ سعيد . ولكن سعادته انقلبت إلى صدمة وذهول عندما أصرّت على بيع الأسهم فوراً بدلا من إبقائها في الشركة . وتمسكت برأيها ، فاستجاب على كره منه . لقد جنبّها هذا المال غير المتوقع بيع مقتنيات أبيها الثمينة .

التفتت الى الساعة وأدركت أن الوقت حان لحمام فيتو .

كان الطفل يترنم بصوت عال و ينثر الماء على كارولين عندما عاد دومنيكو فيكاري .

سمع صوت ضحكها منبعثاً من الحمام وبخطوات واسعة ارتقى السلم ودخل عليهما . وكانت كارولين إذ ذاك ترفع فيتو من الحوض . وللمرة الأولى بدا منه أنه لا حظ فيتو ، وارتسمت على وجهه ابتسامة صبيانية غير متوقعة وهو ينظر اليها بينما كانت تحاول أن تجفف الطفل .

رفع الطفل وقال :

«دعيني أتولىّ الامر ، فقد حان الوقت لاجعله يألفني»

ثم رمقها بطرف عينه وقال :

«أما أنت ، فسأسعى الى تحسين علاقتي بك فيا بعد .»

ارتبكت كارولين وشعرت بالحمرة تخضّب خدّيها بينما طفقت عيناه الجريئتان تتفحصانها . وأخذ كرهها له يزداد .

في هذه اللحظة انزلقت المنشفة عن كتفي الطفل وأشار دومنيكو مندهشاً الى شامة على هيئة قلب بادية على جلد كتف الطفل الوردي وسألها :

«هل ولد بهذه الشامة ؟»

«نعم لماذا ؟ كان الدكتور توماس أول من لاحظها بعد مولده ببضع دقائق . أراني إيآها وأبدى اعجابه بدقة شكلها .»

نظر الى كارولين في حيرة وقال :

«حسنا يا آنسة لندسي لقد تأكدت الآن انه ابن فيتو بالفعل إذ من غير المعقول أن نعزو الى المصادفة ولادة طفل حاملا العلامة نفسها التي يولد بها كل ذكر في عائلة فيكاري على مدى الأجيال .

كان ما يقصده واضحا . فالى هذه اللحظة كان الشك يخامره في أن يكون الطفل هو ابن فيتو ولكنّ الشامة اقنعته . كادت كارولين تختنق سخطاً . وغضبت لمجرد شكّه في أنها ـ وهي تقوم بدور دوروندا ـ فتاة منحلة لا تعرف من هو والد ابنها . وفي هذه اللحظة أحسّت كارولين بأن عليها أن تلقن هذا الرجل المتغطرس درساً فقالت :

«لا أعتقد أنني قابلت رجلا كريهاً مثلك .»

وفي غير اكتراث أشار الى الطفل المتدلىّ بينهما والذي كان يحاول

جاهداً أن يغالب النوم الذي أخذ يستبّد به، ثم قال :

«أقترح أن تأخذي هذا الصغير الى فراشه يا آنسة لندسي ، وعندما تعودين نستأنف الحديث .»

أخذت كارولين تبحث في خزانة ملابسها عن ثوب معقول، وكان الثوب الوحيد الصالح مصنوعاً من القطن ومغسولا وألوانه غير واضحة فارتدته . وهبطت الى حيث كان ينتظر .

استأذنها فى أن يدخن فسمحت له ثم جلس يحدّق فيها وفاجأها قائلا:

«ألا تظنين أنّ الوقت حان لأعرف اسمك ؟»

فارتبكت وأجابت دون تفكير :

«اسمي كارولين .»

«كارولين ؟ اسم لطيف يناسبك تماماً . لقد اطلعت على قصتك مع فيتو بطريق الصدفة عندما وقعت على الرسالة الاخيرة التي تقولين فيها إنك ستلدين قريباً ، كان ما ورد في الرسالة يدلّ على انك يائسة حزينة .»

ومرّة أخرى ساد الاحمرار وجه كارولين بعدما أدركت أنه يظن بأنها هي التي كتبت تلك الرسالة .

بدا عليه التردد قبل أن يسأل كارولين :

«هل لديك أسباب تجعلك تظنين أنّ فيتو كان متورطاً في علاقة بفتاة أخرى عندما كان في وطنه ؟»

ورجعت بذاكرتها الى حديثها مع دورندا محاولة أن تتذكر ما اذا كانت هناك فتاة ورد ذكرها مع فيتو لكنها لم تستطع . وقالت :

«لا ، لا أعتقد هذا .»

«إنّ سبب سؤالي هو انه وصلتني بعض اشاعات عن علاقة المفروض أنها قامت مع عارضة ازياء فاتنة في لندن لم أستطع الاهتداء الى اسمها أو مكان عملها ولكنني أعتقد أنهما كانا يظهران معا يومياً . هل أنت واثقة من أنك لا تعرفين شيئاً عن هذه الفتاة ؟»

في هذه اللحظة شعرت كارولين بأنها لم تعد قادرة على مواصلة الخداع وهمت بان تخبره الحقيقة ، ولكن قبل أن تستطيع الكلام صرخ غاضباً :

«اتستغربين هذه الشكوك ؟ سمعت الكثير عن هذه العلاقة مع فتاة وصفت بأنها سمراء تشبه نساء وطني ، ثم اتيت الى هنا لأجد زهرة انكليزية لها شعر ذهبي وجلد كالمخمل الأبيض تدّعي أنها أم لابنه .»

وبعدما رمقها مطوّلا أضاف :

«كان هذا هو السبب الذي حدا بي الى أن أعرض عليك الزواج . كان اختباراً أن انت أردت ان تسمّيه كذلك . لو أنك أسرعت بالموافقة على عرضي لكنت عرفت أنك فقط تبحثين عن زوج ثري ، ولعاملتك على هذا الاساس . ولكن بما أن رفضك هذا العرض كان جلياً واضحاً وبما أنني الآن أملك دليلا على أنّ هذا الطفل هو ابن فيتو فلا يسعني الاّ أن أتقدم اليك باعتذاري طالباً أن تغفري لي شكّي واتمنى أنّ تعرفي

أن عرضي لك مازال قائماً .»

وشهقت كارولين قائلة :

«لكنني لا اريد ان أتزوجك فمنذ اللحظة الأولى التي تقابلنا فيها وأنت تحاول متعمداً أن تثيرني . انك تنظر اليّ وكأني احدى الجواري اللواتي حملهن أجدادك الى روما في مركبات . صدّقني ياسيد فيكاري انني لاأتمنى أن أصبح زوجة لقيصر ومع ذلك فأنا أشكرك على هذا الشرف العظيم الذى منحتني اياه .»

ضحك قليلا وقد ضاقت عيناه وقال :

«اذاً أرجو ألاّ يكون لديك مانع من أن يعود ابن عمي الطفل الى منزله الشرعى .»

«ماذا تعني ؟»

«أعني ياكارولين أن ابن عمي يجب أن ينشأ في البيئة نفسها التي نشأ فيها أبوه . ستكون له المزايا التى كانت لأبيه والشعور بالأمان الذي ينبع من كونه عضواً في أسرة من أكبر العائلات ثراء في أوربا . وهذا ما أستطيع أن أقوم به من أجله ومن أجل أبيه . هل تنكرين أنني أستطيع أن أقدم اليه أكثر بكثير مما تستطيعين ؟»

فردّت عليه بسرعة وقد أضفى الخوف حدّة على صوتها :

«نعم إنني أنكر ذلك قد يكون لديك مال أكثر مما أتمنى أن أملكه . ولكن ذلك لا يعني أنك تستطيع أن تجعل الطفل أكثر سعادة . انني أحبه . انه ملك لي ومهما قلت أو فعلت فلن تستطيع أبداً أن تفرّق

بيننا .»

أجاب في هدوء :

«لست متأكداً من ذلك . إنّ للمال فوائد ولا ينكر رجل ذو عقل سليم أن فيتو سيكون أسعد حظاً في رعايتي . انني أعلم أنك أمة ولكن ماذا لديك من الموارد لتستطيعي إعالته ؟ اني أنذرك ياكارولين بأنني سأحاربك بكل ما أوتيت من قوّة لأستردّ الطفل . لماذا لا تعيدين النظر في اقتراحي؟ دعيني آخذكما الى ايطاليا حيث تشعران بالأمان . سيكون فيتو بين أهل أبيه وسيحبونه حتى ولو لم يعرفوا أنه ابن فيتو واذا وافقت على زواجنا فانني سأتبناه ، وبهذه الطريقة سيتعرّف الى جدته أيضا . انا لا أستطيع أن أفكر في طريقة أخرى لادخاله في حياتها دون أن أتسبّب في ايلامها اذا عرفت الحقيقة . ألاّ تستطيعين أن ترغمي نفسك على الموافقة ، كي تدخلي قليلا من الأمل الى حياة امرأة عجوز ؟»

كانت فكرة افتراقها عن طفلها أكثر مما تستطيع أن تتحمل . قال لها إنه سيحاربها ليحصل على حضانة الطفل . وستصبح مهمته سهلة اذا ما علم أنها ليست أم فيتو . اذ ليس في الارض محكمة تمنح حضانة طفل الى خالته التي لا تملك درهماً بدلا من قريبه الثرى ؟

نظرت اليه في برود وقالت :

«سأتزوجك .»

وانحنى الى الأمام ليلمس خدها الشاحب بأصبعه وقال :

لاتخافي مني ياكارولين . أعدك بأنني سأرعاكِ، هناك شيء آخر»

«ماذا ؟»

«أريدك أن تدركي امر الطلاق من جانبك لن يكون وارداً على الاطلاق . هل تفهمين ؟»

«نعم .»

اتخذت كارولين الترتيبات اللازمة لتخزين قطع الأثاث الثمينة عندها ريثما يتسنىَ شحنها الى ايطاليا . وعهدت بالمنزل الى وكيل أكدَ لها انه سيُباع في الحال . ثم تحضير جوازات السفر وأصبح حفل الزفاف الذي حدّد موعده دومنيكو وشيكاً .

كانت كارولين جالسة أمام النافذة المطلة على الحديقة عندما دخل دومنيكو من الباب المفتوح . وقال :

«مساء الخير يا كارولين .»

فردّت عليه دون أن ترحب به أو تستدير له :

«مساء الخير .»

فأمسك بكتفها وأدارها في رقة حتى صارت في مواجهته ثم سألها :

«هل هناك ما يضايقك ؟»

«متعبة قليلا هذا كل مافي الأمر .»

نظر الى وجهها الشاحب ، واقترب منها ووضع يديه على كتفيها ثم غمغم:

«مسكينة يا حبيبتي الصغيرة. بدأت تشعرين بوطأة الاحداث. أليس

كذلك؟»

واسند خده على وجهها ولما ادركت ما ينوي فعله انتبهت وعادت الى صوابها . ثم انتزعت نفسها من بين ذراعيه مشمئزة وقالت :

«اياك أن تكرر ما فعلت .»

فرفع كتفيه في لامبالاة وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة وقال:

«لا تحاولي ان تقنعيني بانك عفيفة. كوني طبيعية معي .»

«لا تحاكمني لأنني أحببت ابن عمك يا دومنيكو لقد حملت ابنه ولست نادمة على ذلك . وبسبب الحب الذي كنت أكنّه له وافقت على الزواج منك وأنا متأكدة من أنّ حبّه سيظل حياً في قلبي .»

«ليست لديّ رغبة في الاستيلاء على ما هو لابن عمي . لكنّ القدر شاء ان يموت وان أتولىّ القيام بمسؤولياته . ربما تجدينني بغيضاً الآن لكنني أؤكد لك أنني ساعجبك عندما تتوطد بيننا العلاقات .

«يجب أن اعترف ، توقف قليلا ثم قال : بأنني أجدك جذابة كما وجدك فيتو من قبل فان سحرك لا يقاوم .»

«آمل اذاً ألاّ تجدني ازددت جاذبية بعد ازدياد التعارف بيننا فأكثر ما ينفر المرأة من الرجل أن يوليها اهتماماً ترفضه ولا ترحب به. وفي وسعي أن أؤكد لك ياحضرة السيد بأنّ اهتماماتك بي مرفوضة ولا أرحب بها.»

تقدم نحوها وأحاطها بذراعيه وداعب شعرها ثم قال :

«مات فيتو ولن يعود الى الحياة ونحن ما زلنا شباباً وأحياء . عندما نتزوج سأتوقع منك أن تنسى كل الرجال الآخرين وتكوني مخلصة لي

وحدي . انني اعترف بأنني أريدك . جاهدت طويلا لأتخلص من هذه الجاذبية التي تشدني اليك ولكن كلما التقينا زادت جاذبيتك قوة . انك تحيرينني ، من الواضح أنك لست بلا خبرة ومع ذلك فكلما حاولت الاقتراب منك ابتعدت تواريت عني خجلا. أهي لعبة تمارسينها معي فتكونين تارة باردة وتارة بريئة وخائفة ؟ انني أريد زوجة ياكارولين ، زوجة بكل ما في هذه الكلمة من معنى . أتفهمين؟»

«لا تتوقع مني أن أتزوجك بهذا المعنى ، وأنا لم أعرفك الا منذ وقت قصير . لقد وافقت على الزواج منك من أجل الطفل ولكن ألا تعطيني وقتا قبل ان ...»

واحتقن وجهها بالحمرة وهي تتلعثم ، ولم تجد من الكلمات ما تنهي به عبارتها فسألها في رقة :

«قبل أن أجعلك ملكاً لي ؟»

استدار وأضاف :

«يجب أن أكون أميناً معك ياكارولين لأنني لا أحب الخداع ويجب أن أفصح عما أحسّ به . لا أستطيع أن أضمن لك أنني لن أحاول أن املكك فهذا المدّ الذي تلتزمينه حتى الآن يغريني بأن آخذك بين ذراعيّ وأجعلك تنسين أنك عرفت أيّ رجل آخر . بوسعي أن أجعلك تنسين . لكنني أعدك فقط بأنني سأحاول أن أترك لك وقتاً كافياً لتعرفيني أكثر ، قبل أن أطالبك بامتيازات الزواج . أيرضيك هذا ؟

هل تتزوجينني بهذه الشروط ؟»

وجدت صعوبة في اختيار الكلمات التي ترد بها عليه وأرادت أن تصرخ :

«لا لن اتزوجك »لكنها كانت قد تورطت في قبول الزواج منه من أجل الطفل . وتذكرت عبارته التي رددها مرّات عدة « أنا لا أحب الخداع» كيف سيكون ردّ فعله عندما يكتشف . وسيكتشف ذلك بالتأكيد ـ أنها مارست معه أكبر خدعة . سيطلقها ؟ لا ، انه أكدّ لها أنه لن يكون هناك طلاق . ماذا اذاً، ماذا ستكون الطريقة الأخرى؟»

وفجأة وكأنها ترى الضوء من خلال نفق مظلم تذكرت : «طبعا إبطال الزواج!»

لم يكن لديها صورة واضحة عن الطريقة التى ستثير فيها هذا الموضوع بالنظر الى اعتراف دومنيكو بشعوره نحوها. وحدثت نفسها قائلة «لو كان معنى هذا أن أقاومه كل أيام الأسبوع فسأفعل. سيكون ذلك فقط فى انتظار عودة دورندا الى الطفل، ثم نذهب ثلاثتنا الى منزلنا وننسى كل شيء عن عائلة فيكاري .»

وبعد أن رتبت الامور فى ذهنها على النحو الذى يرضيها ، أدارت وجهها الى دومنيكو وقالت :

« حسناً جداً . اذا كنت توافق على أن تعطيني بعض الوقت كي تزداد معرفتي بك فانني اوافق على الزواج .»

٤ - الزواج

عندما حلّقت الطائرة ارتفعت معها معنويات كارولين. ومدّت ذراعيها تشير الى كل ما يقع عليه بصرها قائلة :

«كل شيء رائع كأنني أسبح في الاحلام .»

«هل هذه هي المرة الاولى تسافرين فيها الى الخارج ؟»

« الى الخارج ؟ انها أول مرة ابتعد أكثر من خمسين ميلا عن بيتي.»

أدهشه هذا القول ولم تكن هذه بالمرة الأولى التى يتساءل فيها عن مدى مالا يعلمه عنها . ثم قالت :

«هل سافرت في الجو كثيراً يادومنيكو ؟»

«إنّ الرجل الذي يقوم بنشاطات دولية ليس أمامه من سبيل إلاّ هذه الوسيلة.»

«لا بد أنك تظنّني سخيفة . أخشى أن تجدني رفيقة تملّ صحبتها إنني أنفعل امام أيّ منظر جديد أراه.»

«لا داعي للاعتذار . على العكس أنني أنا الذي أصبحت مملا وعندما أرى الأشياء من خلال عينيك فكأنني اكتشفها من جديد.»

ونظر الى فيتو الذى كان ينام فى سلام وقال لكارولين :

«اعتقد انه من الأفضل لك ان تنامي قليلا قبل أن نصل الى باريس. لقد أمضيت صباحاً حافلا بالعمل ولا أريد أن يغلبك النوم معي هذا المساء عندما ارافقك لمشاهدة معالم المدينة. لدينا برنامج سننفذه قبل سفرنا غداً الى روما.»

امتثلت لما طلب منها وهي تجد متعة بالغة في ممارسة ترف لم تعتاده وهو أن يتخذ قراراتها شخص اخر نيابة عنها ويزيل كل عقبة من طريقها .

لكنّ النوم جفاها ولم تستطع منع الأفكار من أن تتدفق الى ذهنها مسترجعة كل ما مر بها من احداث .

استيقظت في اليوم التالي وقد استولى عليها شعور بأن القدر واقع لا محالة . وفجأة أدركت أن هذا اليوم هو يوم زفافها فتهيبت الموقف وفضلت لو أنها تعدل عن هذه الخطوة .

كان يريد أن يشتري لها ثوباً غالي الثمن لكنها رفضت قائلة :

«لدى نقود خاصة بي ويمكنني أن أشتري شيئاً مناسباً.»

ورفع حاجبيه متسائلا :

«لكنني كنت أعتقد أن من الأسباب التي تسعدك أن تحصلي على مال تنفقينه في شراء الملابس أو أي شيء اخر»

هل تظن ولو للحظة واحدة ،انني أتزوجك لأي سبب غير الاحتفاظ بفيتو معي ؟ لو انك تعدني بالرحيل لأعيش انا والطفل في سلام

فانني أتخلّ عن هذه الحياة المترفة.»

لكنه طبعا لم يفعل . واستمرت ترتيبات الزواج .

بدأت المراسم الفعلية للزواج كحلم والشيء الذي انطبع في ذهنها هو الكنيسة الصغيرة حيث وقف دومنيكو في انتظارها أثناء تقدمها نحوه متأبطة ذراع محاميها السيد ولكنز .

وكانت تردّ على كلام القسّ بصوت منخفض دون أن تجرؤ على النظر الى دومنيكو الذي كانت اجاباته مباشرة وموجزة ، وعندما وضع الخاتم الذهبي الثقيل في اصبعها ، فوجئت بقلبها يدق بقوة عند احتكاك أصابعه القوية به . وحاولت انتزاع يدها من يده لكنه ضغط عليها بإحكام .

واستمر قابضاً على يدها وهما يتجهان الى الفندق حيث أعدّ لهما غداء فاخرٌ وعندما احتجت في همس بأن أصابعها بدأت تتخدّر ، أطلق يدها ضاحكاً وكفّ قبضته عنها .

«الرجاء من جميع المسافرين أن يربطوا أحزمة السلامة.»

تنبهت كارولين الى الحاضر الذي تعيش فيه وبدأت تتحسس حزام السلامة . فامتدّت يد دومنيكو اليها لمساعدتها ، وهو يبتسم.

هبطت الطائرة فجمعا أمتعتها وقاما بتوديع المضيفة الفاتنة التي انجزت عملها بسرعة ، وتساءلت كارولين ترى هل كانت المضيفة تسدي مساعدتها على هذا النحو لو لم يكن المسافر في وسامة دومنيكو. وعند وصولهما الى الفندق ، رأت فيه مالم تره عيناها من قبل . فقد

حُجزت لهما شقة توافرت لها أسباب الترف الفاحش ، فالفندق الذي نزلا فيه هو أغلى فنادق باريس .

كانت غرفتها آية في الذوق . ولما عادت الى دومنيكو ، كانت امارات البهجة تشيع في وجهها .

وسألها مبتسما :

«هل أعجبتك ؟»

«انها حقاً جميلة .»

«اذاً أنا مسرور . أعتقد أنه من المهم أن يكون كل شيء على أكمل وجه في شهر العسل . ألا توافقين ؟ إنّ باريس مدينة العشاق يا كارولين.»

طاف وجهه الضاحك في جميع أرجاء الغرفة وعندما اقترب من وجهها وقبل أن تفكر في ردّ مفحم عضت على نواجزها في قلق وهي تتساءل : الى متى ستتمكن من إبقائه بعيداً عنها وهو في هذا السلوك المغري .

وبعد أن اتفق مع مدير الفندق على أن يقوم أحد موظفيه برعاية فيتو ، دفع كارولين وهي في حالة ارتباك الى سيارة أجرة .

«الى أين نحن ذاهبان ؟»

«سنذهب لشراء أشياء ضرورية يا عزيزتي . لقد اخترت أنت بطريقتك الخاصة ملابس زفافك ، لكنني لا أريد أبداً أن أراك في هذا الثوب البشع الكاكي اللون الذي كنت ترتدينه في أول يوم تقابلنا

فيه . وأريد في أول فرصة أن القيه في نهر السين.»

«الثوب ليس كاكيَّ اللون . انه بيج ولن أدعك تلقي به في النهر . انه يعجبني.»

وقفت السيارة أمام صف من المساكن العادية ، ولما صعد دومنيكو السلم فتح الحارس الباب .

واندفعت سيدة بدينة لايدل شكلها على سنها الحقيقية ، فتخطّت كارولين ولفّت دومنيكو بذراعيها فبادلها العناق بحماسة

ثم قال لبريجيت :

«أريدك أن تقابلي زوجتي كارولين . انها لا تعرف الفرنسية يا بريجيت.»

التفتت بريجيت وفي عينيها إمارات الدهشة وقالت :

«زوجتك ؟ إنّ هذا الخبر سيغضب نصف السيدات المعجبات بك في روما.»

ثم أخذت تتفحص كارولين . لم يفتها شيء منها حتى شعرت كارولين بارتباك شديد . وكان دومنيكو في دهشة كبيرة لكنه آثر الصمت .

تأثرت كارولين عندما التفتت بريجيت نحو دومنيكو وقالت له :

«آه يا دومنيكو انك لرجل محظوظ انها كاملة حقا ... او على الاقل ستكون كذلك عندما أنتهي من تضبيطها.»

أجاب دومنيكو :

«هذا هو السبب الذي من أجله جئنا الى هنا . صحيح أن الوردة الانكليزية جميلة ، لكنها تحتاج الى عملية صقل قبل تقديمها الى المجتمع الراقي في روما . ألا توافقينني يا بريجيت ؟»

«أوافقك ولكن مع قليل من الماكياج فقط لأننا لا نريد أن نفسد جمالها الطبيعي . هل تتركها لي ساعة أو ساعتين ؟ لن أتمكن من تجهيز كل ملابسها في هذا الوقت القصير طبعا ولكن يمكنني أن أجهّز لها ثوباً لهذا المساء . وربما استطعت أن أعدّ لها ملابس لتسافر بها الى روما غداً كما طلبت ، أما الباقي فسنرسله بعد ذلك.»

«كنت أعلم انه يمكنني الاعتماد عليك . ارجو تحضير بعض الثياب الفاتنة يا بريجيت . ولا بأس من ان يكون بعضه مصنوعا من الدانتيل الأسود.»

ضحكت بريجيت وقد أدركت قصده . وفي أثناء ذلك انصرف دومنيكو تاركاً كارولين تتعثر في خجلها الشديد .

بدأت كارولين تصاب بدوار وهي تحاول اختيار الاجمل من المجموعة الراقية للأزياء التي عرضت أمامها ، وأخيرا قررت أن توافق على ما تختاره بريجيت دون تردد . وعند اختيار ثوب السهرة لليلة الأولى في باريس انحبست أنفاس كارولين . وقفز قلبها عندما تصوّرت ردّ فعل هذه التحفة الرائعة على دومنيكو .

«رائع يا صغيرتي . ابتسمت بريجيت وقالت : الليلة تنعم باريس بمشاهدة اثنين من أكثر العشاق وسامة.»

احمرّ وجه كارولين وعانقت السيدة الفرنسية بحرارة وهي تهمس في خجل :

«أشكرك على كل شيء .»

«هناك أمر آخر يجب عمله . سأطلب من مصفف الشعر الخاص بي أن يقوم بتصفيف شعرك حتى يتناسب مع تصميم الثوب .»

بعد عودة كارولين من عند الحلاق الذي صفف لها شعرها، كان دومنيكو وبريجيت يتناولان المرطبات . أطلقت بريجيت صيحة فرح عندما رأت الابداع في تصفيف شعر كارولين لكن دومنيكو لم يقل شيئاً مكتفيا بالابتسام . ثم نظر اليها عن كثب وقال :

«هل أنت متعبة يا كارولين ؟ أعتقد أنه من الأفضل أن تستريحي قبل العشاء لتستعيدي نشاطك قبل أن آخذك لتشاهدي حياة الليل في باريس.»

واستغربت بريجيت وقالت :

«متعبة ؟ كيف تقول عن طفلة في سنها أنها متعبة الى الحد الذي يمنعها من التمتع بليلة في أكثر مدن العالم رومانسية وفي شهر عسلها؟ اذا تابعت هذا الاسلوب فسيساورني الاعتقاد بأنك أصبحت عجوزاً. أبلغيه ياكارولين بأنّ ما أقوله صحيح.»

«أشكرك يا دومنيكو لست متعبة على الاطلاق . لم أشعر في حياتي بزهد في النوم مثلما أشعر الآن .»

كانت الحيرة هي أول ما انطبع في ذهن كارولين عن باريس في

الليل بسبب هذه المناظر المتتابعة ، من محلات جميلة الى ميادين مضيئة وشوارع فسيحة مصطفة بالأشجار . كل هذه الأشياء رأتها كارولين بعينين منبهرتين ، ومن خلال نافذة السيارة المسرعة التي كانت تتجه بها الى مطعم أنيق ، طالما ارتاده دومنيكو أثناء زياراته العديدة للمدينة .

سار تجاهها ووضع يديه حول خصرها النحيل ثم قال :

«أميرتي كارولين ، أخشى أن أصطحبك هذا المساء خوفاً من أن يقتلني حسادي في هذه المدينة ، عندما تراك باريس الليلة ستسجد تحت قدميك.»

قال هذا ثم تقدم منها وعانقها .

«دومنيكو . لقد وعدتني بأن تتصرف وكأننا التقينا للمرة الاولى هذا المساء . اذا كنت تعتزم الاستمرار في هذا السلوك فسأرفض الخروج معك!»

«أنت تطلبين المستحيل ياكارولين ! كيف تتوقعين مني أن أتصرّف كتمثال وأنت تبدين جذابة للغاية ؟ انني أعرف الآن لماذا فقد ابن عمي فيتو صوابه امام جمالك الصاعق .»

خنقت في صدرها صرخة الألم التي انتزعتها كلماته منها ، ومع ذلك سمع هذه الصرخة فالتفت اليها سريعاً واتجه نحوها فبادرته قائلة :

«ابتعد ! لا أريدك أن تلمسني . ولا أريدك أن تكلمني!»

تجاهل طلبها وأمسك بكتفيها وأجبرها على أن تنظر في عينيه :

«أسف يا كارولين؛ أرجوك أن تصفحي عني. لا بد أنني أكثر الناس أنانية لأعاملك بهذه الطريقة. اني أعرف أنك تريدين ان تتمتعي بهذه الليلة، وانا مسؤول عن افساد جزء منها، ولكني سأعوضك. أرجوك يا كارولين دعينا نفعل كما خططنا وانس كل شيء عدا الحقيقة، وهي أننا هنا لنمتع أنفسنا. هل تسمحين بذلك .»

«هل سيكون سلوكك حسناً يا دومنيكو ؟»

«نعم.»

وقفت السيارة خارج واجهة المطعم الذي اختاره دومنيكو لتناول الطعام فيه . وعندما دخلا القاعة تركزت العيون عليهما. قادهما الكرسون الى مائدتهما ، وعندما اتخذا مجلسهما بدأت الفرقة الموسيقية تعزف ، وخفتت الأضواء.

وعندما انتهى طعام العشاء، كانت قدما كارولين في تلهف الى الرقص. لقد كانت تحب الرقص اذ كانت الحفلات الراقصة النادرة التي دعيت اليها في الاعياد هي أحلى ما في حياتها مع أبيها . وعندما بدأ يرقصان فوجىء دومنيكو اذ وجدها تتلاشى بين أحضانه ، وكانت خطواتها تتوافق تماماً وهما يتحركان على الأنغام البطيئة الحالمة التي كانت تعزفها الفرقة الموسيقية .

وتمتم قائلا :

«لن تكفّي عن اثارة دهشتي . فأنت خفيفة كالريشة في يدي . انك

ترقصين في روعة.»

لم تجبه. فقد فتنت بسحر تلك اللحظة وخشيت أن تتكلم فتبدد ذلك السحر. وطوقها بذراعيه وأخذ يضمها بقوة وهما يرقصان، ووجنته تستكين على شعرها الذهبي المتوهج. ودون أن تشعر، استرخت عليه ورقصا سوية غافلين عن كل ما عداهما مستغرقين في سحر الرقصة الأولى. وأعادهما التوقف المفاجىء للموسيقى الى الواقع. ابتسم دومنيكو لها بينما بقي ذراعه ملتفاً حول خصرها، فردت الابتسامة وهي تسحب ذراعها من حول رقبته ، ثم سارا تجاه منضدتهما. ولمّا جلست الى المائدة علّق دومنيكو على لون وجهها المتوهج بابتسامة قائلا:

«ألا تعرفين المثل القائل «كل الدنيا تعشق العاشق » ياكارولين؟»

«لكننا لسنا عاشقين . أخشى أن تكون الموسيقى قد جرفتني . أرجو ألاّ تتخيّل انني كنت أغازلك يا دومنيكو . فانني لم أشعر أنني أرقص مع شخص معين.»

«إذا كان الأمر كذلك فسأحاول أن ارقص معك دائماً . انك دائماً أكثر تجاوباً في حلبة الرقص .»

«كانت ليلة رائعة يادومنيكو . أشكرك للغاية .»

«لكن الليل مازال طويلا . لن نعود الى الفندق الآن فمازال عند باريس مزيد تقدمه لنا . انتظري حتى تشاهدي الاستعراض المسرحي في كازينو دي باري أو لعلك تفضلّين الـ فولي بيرجير ؟»

«اترك لك حرية الاختيار .»

ظلاّ مرحين طوال الليلة الممتعة التي أعدّها دومنيكو . وبعد العشاء تجولا في سيارة حول المدينة حيث شاهدت ولو بسرعة بعض المعالم التي طالما سمعت عنها .

وجدا أن بينهما أموراً كثيرة مشتركة . فقد كانا يحبان الأشياء نفسها ويضحكان للدعابات ذاتها ويستهويهما النوع نفسه من الموسيقى . بل وجدا أنهما يكرهان الاشياء نفسها .

التفت دومنيكو الى كارولين وقال :

«أنت متعبة ؟ يالحماقتي اذ لم ألاحظ ذلك ! أمضيت يوماً طويلا وقد بدأت تتأثرين بانفعال هذا المساء والرحلة التي قمنا بها.»

كانا يجلسان في ناد من أرقى النوادي الليلية في المدينة اختاره دومنيكو ليتوّج أمسيتهما . وكان الجو الدافىء والأضواء الخافتة تحث على النوم . وأحسّت كارولين بموجة غامرة من الارهاق تنتابها . وشعرت بثقل جفونها . وبجهد استطاعت أن تنفض التعب الذي استولى عليها.

أمسك بيدها ومازحها برقة قائلا :

«أتدرين ؟ إنّ الشبه بينك وبين الطفل فيتو هو أوضح ما يكون في هذه اللحظة . فهو يجاهد بالأسلوب نفسه ليتغلب على نعاسه . أرجو ألا تستسلمي بالسرعة التي يستسلم بها ، وإلاّ اضطررت أن أضعك في فراشك عندما نعود الى الفندق.»

«أشكرك يا دومنيكو فلن يكون هناك داع لهذه الخطوة . سأكون قادرة

على أن أذهب الى الفراش بنفسي.»

«يا للخسارة ، لكنني مازلت أرى أنك انفعلت بما فيه الكفاية ليوم واحد . سنرحل الآن ، وعندما نصل الى الفندق سأطلب بعض الساندوتشات قبل أن تأوي الى الفراش . أتحبين ذلك ؟»

«لست جائعة يا دومنيكو . أظن أنني أفضل أن أذهب الى السرير مباشرة اذا لم تمانع .»

«لكني أمانع . لا تقلقي فلن ابقيك مستيقظة طويلا.»

أمر البواب بأن يأتي لهما بسيارة وبعد قليل وصلا الى الفندق .

بدأت كارولين تذرع غرفة الجلوس ذهاباً ومجيئاً قلقة من توقع المواجهة الوشيكة مع دومنيكو . وتمتمت لنفسها «انني أعرف انه سيحاول التقرب مني الليلة . أستطيع أن أحس بذلك .»

خاطبها دومنيكو قائلا :

«لم لا ترتدين ثوباً يوفر لك إراحة جسمك المتعب ؟»

«أشكرك يا دومنيكو ، فأنا مرتاحة في هذا الوضع .»

«اذاً اجلسي واسترخي فلن آكلك !»

رمقته بنظرة عصبية سريعة فاقترب منها ، أحاط كتفيها بذراعيه وبدأ قلبها ينبض في غير انتظام وهي تقاوم تحديقه فيها.

«لقد وعدت يادومنيكو بأنك لن تعود الى تصرفاتك التي ازعجتني.»

«أنا مازلت عند وعدي .»

«انك تعرف ان هذا ليس صحيحا . قلت انك لن تحاول استمالتي

كان هذا جزءاً من اتفاقنا.»

«كلا . كان ما وعدت به أننا سنكون كشخصين تقابلا للمرة الاولى هذا المساء . واننا سنخرج ونتمتع سوياً دون أن نفكر في ما حدث قبل ذلك .»

«ان هذا يعني ألاّ تحاول الاقدام على تلك التصرفات .»

«بالطبع لا . انني أتصرف بالطريقة نفسها التي كنت سأتصرف بها مع أي فتاة أخرى أمضيت معها ليلة ساحرة .»

فهمت كارولين المعنى القاسي لكلماته وكان مضمونها صفعة قوية لها . فقد كان يعني أنه لم يحترمها الى الحدّ الذي يجعله يتصرف معها بطريقة أخرى . لقد خدعها، كان طوال المساء يستغل سعادتها لكي يخطط لهذه النهاية . أرادت أن تكرهه لكنها لم تستطع . وكل ما استطاعت أن تشعر به هو احساس بالبؤس . وكلّما سنحت لها فرصة للتفكير فيه جلب اليها ذلك ألماً غير محتمل:

«ظننتك رجلا دمثاً يا دومنيكو .»

«هل من الضروري أن أذكرك ثانية بأنك زوجتي يا كارولين ؟ ألم تخبريني عندما سألتك عن مدى معرفتك لفيتو بانك تورطت معه حتى النهاية ؟»

ثم صرخ :

«ومع أن وضعك الآن وضع محترم اذ تحملين في اصبعك خاتم الزواج إلاّ أنك مع ذلك تفضلين التصرف في حذر .»

وحفر بأصابعه في أكتافها بقسوة وهو يجذبها تجاهه .

«انك تحرين مني مجرى الدم من العروق يا كارولين وانني لأكره نفسي من أجل ذلك لكنني لا أستطيع أن أقاوم الرغبة الملّحة في تذويب الثلج الذي كونته حول قلبك المتحجر.»

وتطاير الشرر من عينيه وهو ينظر اليها قائلا :

«هل انت باردة كالثلج معي فقط ؟ اذا كان الحال هكذا فأنا أعرف كيف أذيبه ! وأستطيع أن أجعلك تستجيبين .»

حاولت أن تتخلص من يديه اللتين كانتا تمسكان بها لكنهما كانتا كقيد من الصلب . وبدت في عينيها كآبة عكست ما يمكن في قلبها الباكي من حزن لكنه لم يلاحظها أو لعله لاحظها ولكنه لم يكترث . صمّم على تنفيذ ما يجول في خاطره .

وشعرت كارولين بالتعب يسيطر على كل جزء في جسمها النحيل فاسترخت وتمددت واستغرقت في سبات عميق .

لانت نظرة دومنيكو وهو يحدّق في وجهها البريء فشعر بنوع من الندم وتوبيخ الضمير . ثم حملها في رقة الى غرفة النوم ووضعها في سريرها وانصرف !

٥ - في روما

كانت السيارة في انتظارها عندما هبطا من الطائرة التي حملتها من باريس هذا الصباح . وبدا على وجه دومنيكو الارتياح وهو يتخذ مكانه أمام عجلة القيادة اذ هجر سيارات الأجـرة في باريس والسيارات المؤجرة التي كان يستعملها في انكلترا.

نظرت كارولين الى فيتو الذي أخذ يهدل بسرور وهو مستلق في سريره الخفيف المثبت في المقعد الخلفي ، وعندما اطمأنت الى راحته نظرت بطرف عينيها الى الملامح الجانبية لوجه دومنيكو المتسمة بالقوة والصرامة وفتحت فمها وهي تهمّ بالكلام لكنها عدلت عن ذلك . وأخذت أصابعها تمزق منديلها المخملي الثمين فأتلفته دون وعي منها بسبب قلقها من المحنة التي كانت تزداد منها اقتراباً مع كل دورة من دورات عجلات السيارة .

هل ستحبها عمة دومنيكو ؟ هل يقبلها افراد عائلة دومنيكو دون اعتراض أم انهم سيظهرون العداء لفتاة اقتحمت عالمهم فجأة ؟

بينما كانت تفكر في كيفية بدء الحديث مع دومنيكو فاجأها بقوله:

«لا داعي للقلق يا كارولين . فالعمة رينا هي من أحب النساء اللواتي عرفتهن.»

ثم رفع كتفيه بلا مبالاة واستطرد :

« أما بالنسبة الى بقية أفراد العائلة ، فلا قيمة لما قد يفكرون فيه أو يقولونه .»

«يالك من رجل ! فأنت لا تعبأ بفضول أسرتك الطبيعي ودهشتهم لمجيء فرد جديد الى العائلة لا يعرفون عنه شيئاً . كيف كنت تتصرف لو أن فيتو ألقى بي وبالطفل بينكم من دون مقدمات كأمر واقع يجب قبوله ؟»

ودون أن يحوّل عينيه عن الطريق التقط سيكارة من العلبة التي كانت في جيبه وأشعلها . وبدا عليه أنه يتروّى قبل أن يرد . ثم قال لها :

«لعل من الأفضل توقع أسوأ الأمور ، ولا شك في أن تصرفهم سيكون كذلك فعلا . ولكن لا داعي للقلق ، فلا يعنينا الا رأي العمة رينا . وسنشرح لها الأمر بطريقة تقنعها ، ولو لم تنجح في ذلك فهي لن تتساءل عن هذا الأمر مراعاة لمشاعري . واعتقد حقا أن الطفل سيكون تعويضاً كافياً لها عما يعتريها من ألم لأننا كتمنا أمر زواجنا.»

«أتنوي أن تخبرها بأننا لم نتزوج حديثاً؟.»

«هذا أصعب قرار كان عليّ أن أتخذه .»

وقطب جبينه واستطرد قائلا :

«لم أخدعها ابداً في حياتي . ولذلك فلا خيار أمامي الا أن أخبرها بأنه مضى على زواجنا عام كامل وأننا اضطررنا الى كتمان الأمر بسبب اعتراض أسرتك على الزواج وأنت فى هذه السن الصغيرة . أتظنين ذلك ملائماً؟»

فقالت بتردد :

«لست أدري . ترى ألا يدهشها أنك انتظرت حتى بلغ الطفل ستة أشهر لتطلعها على الامر ؟»

سحق سيكارته متأففاً وقال :

«طبيعي أن ذلك يؤلمها لكن الأمر يختلف متى عرفت أن الطفل هو ابن فيتو»

وأخيراً حانت اللحظة التي كانت تخشاها. فقد توقف دومنيكو أمام منزل فخم شبه منعزل. وبسبب انفعالها الزائد تعثرت قدمها وهي تخرج من السيارة وسرّها أن وجدت ذراع دومنيكو الى جانبها تسندها حتى استعادت توازنها. دق دومنيكو الجرس وقبل انقضاء فترة كافية من الوقت ايذاناً بوصولها، فتح الباب، وانطلقت منه صيحات :

«دومنيكو دومنيكو أخيراً . أخيراً.»

ذلك أن السيدة العجوز لم تنتظر قيام خادمها بفتح الباب ، وكادت تبكي وهي تطوّق دومنيكو بذراعيها ضاحكة .

وبعدما عانقها بحرارة قال لها :

«عمتي رينا أنت فاتنة كما عهدتك دائماً !»

وحملها بين ذراعيه ثم دار بها حتى توصلت اليه أن يرحها قائلة له

وهي تلهث:

«دومنيكو أنزلني في الحال ! ماذا ستظن زوجتك في تصرفي هذا؟»

فأنزلها برفق حتى استردت ما اهتزّ من هيبتها قبل أن يمدّ يده الى كارولين قائلا :

«عمتي رينا أريدك ان تقابلي المرأة الوحيدة التي أحببتها بعدك انت.»

وفي خجل مدّت يدها وحدقت في العينين البنيّتين الدافئتين اللتين كانتا تحدقان نحوها، وأحست بالدفء لما رأته فيهما من عطف وحنان. وشعرت بالارتياح عندما خطر لها أن السيدة منفعلة مثلها تماما وتراءى هذا كلّه في ابتسامة متألقة تبادلتها معها.

رفعت العمة رينا وجهها لتتلقى قبلة كارولين . ثم مالت بوجهها نحو دومنيكو وقالت :

«أشكرك يا عزيزتي . كنت أخاف أن يتعذر الأنسجام بيننا ولكن كان يجدر بي أن أدرك جيداً انه لا سبيل الى الشك في ذوق دومنيكو الذي لا يخطىء .»

فابتسم دومنيكو قائلا :

«اذن فأنت راضية عن اختياري ياعمتي رينا ؟.»

«ألم يقل غريغوري الأكبر عبارته التي اشتهر بها ومؤداها :

«ليسوا انكليز، بل هم ملائكة» والتي قالها عندما رأى الأطفال الأنكلو الساكسون للمرة الاولى يا دومنيكو ؟ هذا ما ذكرتني به كارولين . ذلك الشعر الذهبي الجميل وتلك البشرة الملساء والعينان اللتان لهما براءة الملائكة نعم يا دومنيكو انني راضية عن ملاكك

الانكليزي الصغير.»

وابتسمت لها وهما يقفان وقد تشابكت أيديهما . ولما رافقتها العمة رينا الى غرفة الاستقبال نظر دومنيكو الى عيني كارولين ورفع حاجبيه في مرح . وأحست كارولين بأنها تكاد تختنق وقد تملكها شعور من الاسف اعتقاداً منها بأن خداعها لهذه السيدة العجوز العزيزة شيء كريه فقد بدت عذوبتها واضحة لكارولين وعرفت أنها قد تزداد مع الأيام حبًا لها .

وأفسحت العمة رينا مكاناً مجاوراً لها على الأريكة وكأنها تدعو كارولين الى الجلوس الى جانبها . وجلس دومنيكو أمامها وأخذ ينظر اليها وهي تصب الشاي في فناجين هي من الرقة بحيث تشبه قشرة البيض . وخاطب كارولين قائلا :

«انك تجبرين العمة رينا على أن تشرب الشاي فالقهوة هي شرابها المفضل . لا بدّ أن تشعري بالفخر لأنها تحبك حباً جعلها تشاركك في ما كانت دائماً تصفه بأنه مزيج مقزز للنفس .»

قطبت عمته جبينها وهو يمازح كارولين ثم مالت الى الأمام لتضربه على ركبته ضربة حادة وقالت :

«هذا هراء يا دومنيكو فكثيراً ما أتناول الشاى مع أصدقائي الانكليز وسيضايقني جدا اذا أشعرت كارولين بأنني اتناول الشاي لمجرّد تفضيلها اياه . كان يجدر بك أن تساعدها على الشعور بالارتياح بدلا من أن تزيدها ارتباكاً.»

ثم استدارت الى كارولين قائلة :

«ما أكثر ما تسبب في إثارة ثائرة ابني فيتو بحيله ومزاحه . لقد كان يغيظه بلا رحمة وخاصة عندما كانا طفلين .»

حملت كارولين الطفل فيتو وجاءت به الى غرفة الاستقبال لتعرضه على العمة التي ما ان رأته حتى صاحت :

«آه يا دومنيكو . ها هو ابني فيتو مرة أخرى . فالتشابه بينهما أكبر من أن يصدقه عقل . يا عزيزي فيتو !»

قالت كارولين برقة :

«أطلقنا عليه اسم ابنك يا عمتي ظنا منا بأن ذلك يسعدك ؟.»

مدّت يدها ناحية كارولين ورمت دومنيكو بنظرة عرفان بالجميل وقالت منفعلة :

«أشكركما . انكما تراعيان شعور سيدة عجوز . انني مسرورة للغاية لأنكما فكرتما فيّ بهذا المقدار .»

وضع دومنيكو اصبعه تحت ذقنها ورفع وجهها لكي ينظر في عينيها وقال :

«تعرفين طبعا أن من أسباب سعادتنا أن نقوم بأي شيء في سبيل راحتك أنا مدين لك بأكثر مما أستطيع الوفاء به . وفيتو أيضا، فلقد قاسمني أمه ومنزله وسأظل مقدّراً لجميلكما الى الأبد.»

«هراء يا دومنيكو . فأنت تعرف انها لم تكن مسألة قسمة . لقد كنت ابناً آخر لي وأخاً محبياً لفيتو . لا أريد أن أسمع كلمة عرفان بالجميل مرة أخرى . فقد أعطيتنا أكثر مما أخذت منا بكثير.»

وغامت عيناها بالدموع اذ لم يكن قد مضى على موت ابنها الا

وقت قصير ولم تكن تقوى على التحدث عنه برباطة جأش وانتقلت الى موضوع آخر حتى لا تنوء تحت وطأة أحاسيسها .

«كانت رسالتك التي ذكرت فيها خبر زواجك وأنك أصبحت أباً مفاجأة كبيرة لي يا دومنيكو»

دخل ايمانيويل الغرفة بعدما نقر الباب ، ثم وقف في جوار مقعد العمة رينا . كان عجوزاً مثلها . هو عمل وأبوه من قبله في خدمة أسرة الفيكاري منذ أن كان صبياً . وأشرق وجهه الأسمر المجعد وهو يتأمل السيدة العجوز وهي ترعى الطفل في سعادة غامرة . وتجعدت شفتاه عندما ابتسم بعد أن صوب فيتو نظره اليه وأخذ يضحك وهو يحدق في اتجاهه . ثم تمتم مسروراً :

«انه حقا من عائلة فيكاري . ابن حقيقي لأبيه .»

واحمرّ وجه دومنيكو قليلا وقال :

«أشكرك يا إيمانيويل . لكن أرجو ألا يسبب لك إزعاجاً كما كنت أفعل في صغري؟.»

فرّد بصوت مرتفع :

«ازعاج يا سيد دومنيكو ؟ ألا ليتنا نستطيع التغلب على كل ما يسبب لنا ازعاجاً بالسهولة نفسها التي كنا نعالج بها طيشك؟.»

ثم جرّ قدميه في قلق . فسألته العمة رينا وقد نفد صبرها :

«قل لي يا ايمانيويل . ماذا يزعجك ؟.»

«أنت تعرفين أوامر الطبيب ياسيدتي . يجب الحرص على راحتك بعد الظهر دائما . ألا تحبين أن تأوي الى فراشك الآن ؟ سأخبرك في الوقت

المناسب لتستعدي للعشاء .»

وعندما رأى أن العمة رينا تهم بمجادلته ، لجأ الى دومنيكو وقال:

«إنها أوامر الطبيب الصريحة بأن تأخذ قسطاً من الراحة كل يوم بعد الظهر يا سيد دومنيكو . منذ الصباح وهي تنتظر وصولكم في قلق . فأرجو منك الالحاح عليها في تنفيذ أوامر الطبيب الذي أخذ عليّ عهداً باحترام أوامره .»

وانتظر رد فعل دومنيكو ثم ابتسم شاكراً عندما رآه يتولى الأمر بنفسه اذ أخذ الطفل منها وأعطاه لكارولين متجاهلا اعتراضاتها ثم رفعها وحملها الى الباب وتركها في رعاية أدلينا زوجة ايمانيويل التي دفعتها الى الداخل وأغلقت الباب .

عاد دومنيكو الى الغرفة والابتسامة تعلو شفتيه وقال لكارولين :

«اشكر لك طريقتك في معاملة العمة رينا.»

«لا داعي لأن تشكرني يا دومنيكو فهي في اعتقادي من أطيب من قابلت من الناس وأرجو ...»

ترددت فقاطعها سائلا :

«ماذا ترجين ؟»

وفي بطء استكملت حديثها قائلة :

«كل ما كنت أرجوه هو أن يكون لقاؤنا خلواً من هذه السحابة من الخداع التي تخيم علينا فهي أطيب من أن نخدعها بهذه الطريقة . ومما لا ريب فيه أن لديها قلباً كبيراً يستطيع أن يتسع لحفيدها دون حقد . بل انه ولو لم يكن أبواه متزوجين لما حملت الطفل وزر هذا

الأمر في اعتقادي .»

«هل تقصدين أنه لم يكن هناك داع لزواجنا وان العمة ستقبل بالطفل ايا كانت الظروف ؟»

«نعم ، أعتقد أنه لم يكن هناك أي داع لذلك .»

«مضى الآن وقت التفكير في ذلك . وفي اي حال كيف لنا أن نعرف ما سيكون رد فعلها متى عرفت أن الطفل هو ابن فيتو لا ابني؟ صحيح أنها لن تلقي بك أو به خارجاً لكن الصدمة قد تقتلها، وأنا لم استعد لهذه المغامرة.»

«لم يكن لمعرفتها بأن الطفل هو ابنك أي أثر سيء يا دومنيكو. ولا بد أنها تشك في الفترة التى انقضت بين زواجنا وميلاد الطفل لأن أحداً لم يخبرها بهذا أو بذاك. كيف تقول لها إننا تزوجنا منذ أكثر من عام وإنك لم تر ضرورة لابلاغها ذلك.»

«سبق واطلعتك على خطتي . وان ارتابت فلن تسألني . ان ذلك سيؤلمها لكنك تعرفين أننا لا نستطيع أن نحول دون حدوث ذلك . لقد كانت دائماً تعاملني كأبن لها ، وكنت أحصل على كل ما ينعم به فيتو من حب وعاطفة ولكن مع ذلك .»

حزنت كارولين لنظرة الألم التى بدت في عينيه وهو يستطرد قائلا :

«كان هو ابنها الحقيقي لا أنا . هذا هو الفرق ياكارولين .»

ثم استدار حتى لا ترى وجهه :

«هناك رابطة بين الأم وابنها لا يستطيع أحد أن يقطعها او ان

يشاركها فيها أيضاً.»

لم يكن قد أخبرها الشيء الكثير عن طفولته . وكل ما كانت تعرفه أن والديه قتلا في حادث سيارة ولم يكن عمره اذ ذاك يزيد على السبع سنوات بدأ يشرح لها قصته بالتفصيل قائلا :

«كان والدي أخا لوالد فيتو وعندما أصبحت يتيماً فتحت العمة رينا والعم أرتورو قلبيهما وبيتهما لي . ومات العم أرتورو فجأة عندما كنت وفيتو في الثانية عشرة من عمرنا . وتحملت العمة رينا عبء تربيتنا . وسأظل مديناً لها بهذا الجميل الى الأبد . كان فيتو سخيا معي وأشركني في كل شيء فمن واجبي أن أفعل كل ما في وسعي لمساعدة فتاة كان مقدرا لها أن تصبح زوجته . وما هذا الا تضحية ضئيلة اذا ماقورنت بما نعمت به من حب وأمان .»

استدار نحوها فجأة ونظر اليها قائلا :

«لم تشعر بالحاجة الى المال في أي يوم من الأيام يا كارولين، فلقد كان لدينا الكثير منه دائماً . لكن المال لا يشتري ما ظفرت به من حب .»

كان عليه أن يتقاسم الحب طوال حياته أو على الأقل منذ وفاة أبويه ، وها هو الآن مضطر الى مقاسمة فيتو حبه لزوجته وهو الحب الذى ينبغي أن يكون له وحده . ورغبت في أن تلقي بنفسها بين ذراعيه لتشبع هذا الجوع الشديد الى الحب الذي أظهره دون أن يدري ، ولكنها لم تجرؤ على ذلك . فقد كان دومنيكو رجلا متكبراً فظاً ولم يكن يتيماً بائساً يبكي أمه اشتياقا اليها . وكانت تعرف أن مبادرتها ستلقى الرفض فازدادت إصرارا على أن تحرره من هذا الزواج الزائف

في أقرب فرصة مهما تكن العواقب .

كان فيتو ينمو بسرعة ويستعد للشروع في الوقوف دون مساعدة احد . وكانت حركاته ترهق كارولين . وذات يوم سمع دومنيك أنينها وشاهد ما تعانيه بسبب الطفل فانحنى ورفع الطفل قائلا:

«دعيني آخذه منك . انه يرهقك وأنصحك بأن تذهبي الى غرفتك لتستريحي قبل أن تقابلي بقية أفراد الاسرة هذا المساء .»

ولما رأى الانفعال على وجهها قال :

«لا تقلقي ، أؤكد لك أنهم اناس طيبون .»

وابتسم لها وخفق قلبها. كان يحمل فيتو بالحنان الذى يبديه كل ايطالي نحو طفله وقالت لنفسها، ياله من رجل يصلح أباً رائعاً. لو...»

وضاقت ذرعاً بنفسها لهذا التمني فنهضت وتوجهت الى الغرفة المخصصة لها يرافقها دومنيكو .

وعندما فتح الباب لكي تتقدمه الى الداخل انبعثت منها صيحة تنمّ على السعادة .

ومشت على سجاد أزرق سميك ينبسط على أرض الغرفة من الجدار الى الجدار . وكان الأثاث مصنوعاً من خشب ذي لون فضي ناصع براق . أما النوافذ الشاهقة ، فقد اكتست بستائر ظلال لونها شبيهة بلون السجادة الزرقاء ، وتدلت بارتفاع الجدار . أما الجزء المتوسط من الغرفة فقد استقر فيه فراش أنيق غطي بدوره بأغطية من اللون الأزرق أسوة بالستائر والسجادة .

وقفت كارولين مشدوهة لا تقوى على الكلام وهي تتأمل جمال

الغرفة التى اختارتها لها العمة رينا يحدوها الى ذلك عطفها ورقتها. وهمست قائلة :

«آه يا دومنيكو !.»

«لا ريب في أن العمة رينا أولتك شرفاً عظيماً . فعلى ما أذكر لم يستعمل هذه الغرفة الاّ ذوو الحظوة من الضيوف وطبيعي أن تخصيصها لك لاستعمالها بصفة دائمة هو شرف كبير لأنها رفضت مراراً أن يستعملها أفراد العائلة .»

«أيعني هذا أنها تعتبرني فرداً من أفراد العائلة ؟.»

«ليس هذا فقط بل تعتبرك فرداً عزيزاً من أفرادها.»

وصلت الى احدى النوافذ ثم خرجت الى الشرفة . وسرّها أن تجد نوافذ غرفتها تطل على المنزل من الوراء وأن هناك شرفة واسعة ، وانبسطت تحت الشرفة ساحة خضراء فسيحة في وسطها فسقية وتناثرت فيها شجرتان أو ثلاث تضفي على المكان ظلا ظليلا وترطب جوه . وأسعد كارولين أن تجد في هذه الساحة مكاناً مثالياً يلعب فيه فيتو . ثم سألت دومنيكو :

«هل هذا منزلك الوحيد يا دومنيكو ؟ أعني هل لديك مكان آخر خاص بك أو أنك مازلت تقيم هنا مع عمتك ؟.»

«عندي فيلا في الجبل اذهب اليها حينما تشتد الحرارة في المدينة. وقد جرت العمة رينا على استعمالها في هذا الوقت من السنة ، ولكنها آثرت الاقامة هنا منذ وفاة فيتو لتظل الى جانب أفراد العائلة . ولم أشعر بالحاجة الى مكان خاص بي لأنني كنت دائم الترحال . كان فيتو

يرعى أعمالنا هنا ، في روما ، ولم يكن يسافر الا قليلا . أما الآن فهو لم يعد بيننا وعلينا أن نعيد ترتيب أوضاعنا . سأضطر الى البقاء هنا لأدير الأعمال ، وربما أنبت عني جيوفاني وهو ابن عمي الأصغر الذي ينتظر فرصة كهذه ليظهر فيها براعته. وفي هذه الحالة يجب ان أفكر في شراء منزل قريب من هنا ، اذا كنت لا تحبين الاقامة مع العمة رينا.»

«لا يادومنيكو ، انا أحب الاقامة مع عمتك . وكل ما في الأمر أنني فضولية .»

اتجه الى باب كانت كارولين تتساءل عما يخفي وراءه فأكد لها شكوكها عندما قال :

«هذه هي غرفتي وستلاحظين أنها ليست في فخامة غرفتك ولكن عمتي تعرف أنني أفضل الغرف البسيطة .»

احمر وجهها عندما التقت نظراتها وتذكرت الغرفتين اللتين أقاما فيهما، وما ترتب على تقاربهما . وتمنت صادقة أن يكف عن عادة اقتحام غرفتها في أوقات لا تتوقع حضوره فيها.

«استلق في فراشك وخذي قسطاً من الراحة وفي الوقت المناسب سأخبرك لكي تستعدي . سيحضر بعض الأصدقاء للتعرف اليك ولكن لن يبقى لتناول العشاء الا المقربون . وأرى أن ترتدي الثوب الذي ارتديته في الليلة السابقة فهو جذاب للغاية.»

فأجابت :

«سأفعل وشكرا .»

لو كان الأمر في يد كارولين لما عادت الى ارتداء هذا الثوب . صحيح انه ثوب جميل الا أنه يوقظ في ذهنها ذكريات كثيرة مؤلمة . لكن ليس لها خيار ، لأن الثياب التي كلفت بريجيت تجهيزها لها لم تصل بعد .

استلقت كارولين على الفراش وهي تحاول النوم ، لكن ذهنها كان مفعماً بالنشاط . وطافت عيناها في أنحاء الغرفة في تعجب فهي لم تستطع بعد أن تتقبل فكرة ان هذا البيت سيكون بيتها . لا ريب في أنه سيكون مؤقتاً ومع ذلك فهو مكان تقضي فيه بعض الوقت حتى تعثر على دورندا . وأخذ النعاس يداعب جفونها ، ثم استسلمت الى النوم .

وبعد ساعة استيقظت وهي تشعر بانتعاش . كان في استطاعتها أن تسمع وقع أقدام دومنيكو وهو يتجول في غرفته ، وعندما نظرت الى ساعتها أدركت أن الوقت حان كي تتأهب لمواجهة اقارب زوجها .

دخل دومنيكو غرفة نوم كارولين حاملا علبة صغيرة قدمها اليها واذا فيها بروش ثمين جداً مرصع بالماس على هيئة وردة دقيقة الأوراق . فأطلقت صيحة اعجاب وهي مشدوهة بما تراه ثم قالت:

«لكن لا يمكنني يا دومنيكو أن أتقلده .»

وأعادته اليه قائلة :

«انه نفيس جداً . خذه وضعه في مكان آمن ، لأنني أخاف عليه ان يضيع .»

فأخرج البروش من العلبة وثبته على ثوبها فتلألأ بالانوار، ثم

اتجهت الى المرآة لتتأمله .

وتردد وهو يقول :

«أريدك أن تتقلديه يا كارولين فقد كان يخص أمي .»

رفعت يدها برقة ولمست طرف احدى وريقات الوردة بأصبع تختبرها بها وقالت :

«خاص بأمك وتريدني أن آخذه يا دومنيكو ؟.»

«نعم .»

اتجهت يده الى جيب سترته وأخرج هذه المرة علبة أخرى أصغر من الأولى . وأمسك بيدها ونظر لحظة الى أصابعها النحيلة ووضع خاتماً في الأصبع التى تحمل خاتم الزواج الذهبي الثقيل . وكان لهذا الخاتم ماسة رقيقة وضعت في ذوق سليم وهو يماثل البروش تماماً قال :

«لم أشتر لك خاتماً للخطبة . ارجو ان يروقك هذا الخاتم.»

«هل هذا خاتم خطبة أمك يا دومنيكو ؟.»

«نعم . هل يعجبك ؟ اذا كنت تفضلين أن أشتري لك خاتماً آخر فانا مستعد.»

لم تتمالك نفسها . فذهبت اليه ووضعت شفتيها على خدّه وقد اغرورقت عيناها بالدموع وقالت :

«شكرا يا دومنيكو هذه العاطفة . سيكون لي شرف وضع خاتم والدتك في اصبعي .»

وللمرة الاولى منذ عرفت دومنيكو خانته ألفاظه وامتدت يده الى خدّه وتلمس المكان الذى لمسته بشفتيها لمسة خاطفة وقال :

«لماذا ، يا كارولين ؟.»

وابتعدت بسرعة وهي نادمة فعلا على اندفاعها هذا . فلو ادرك انها تحبه فان خطتها تبوء بالفشل . والأمر يحتاج الى كبت المشاعر لكنها بحماقتها جعلته يحسّ بشيء من الشعور الذي تضمره له .

سمعت كارولين صوت أدلينا وهي تنادي :

«يا مدام فيكاري . حان الوقت للنزول الى الطابق الاسفل لمقابلة الضيوف .»

وردت كارولين في ارتياح :

«شكرا يا أدلينا اني قادمة .»

اتجهت الى الباب دون أن تنظر في اتجاه دومنيكو وقبل أن تصل اليه اعترض طريقها وقال :

«يا كارولين .»

«ارجوك يا دومنيكو دعني أنزل فالعمة رينا في انتظارنا.»

«يمكنها الانتظار بضع دقائق أخرى يا عزيزتي . أودّ أن اكلمك .»

الذى أفزعها كلمة عزيزتي التى لفظها بحنان يضاهي تلك الومضة التى انبعثت من عينيها ، فصرخت :

«أدلينا ! أدلينا !.»

«نعم ياسيدتي .»

«تعالي لحظة فأريد مساعدتي في ارتداء الثوب .»

«طبعا يا سيدتي .»

وبينما كان مقبض الباب يدور صاح دومنيكو :

«حسناً يا أدلينا سأعاون السيدة . قولي للعمة أننا سننزل بعد عشر دقائق .»

«بالتأكيد يا سيد دومنيكو.»

تناول ذقنها بين أصابعه وأدار رأسها حتى التقت عيناها بعينيه وقال :

«الآن قولي لي لماذا وضعت شفتيك على خدي في حنان دافق؟»

رفع يده مرة ثانية الى المكان الذي لمسته شفتاها وكأنه مازال غير مصدق بأن ذلك حدث . وارتسمت على وجهه ابتسامة رضى وهو ينتظر جوابها.

ماهو التفسير الذي تستطيع أن تسوقه لتقنعه بأن شعورها لم يتغير ؟ ان الشيء الوحيد الذي فكرت فيه من شأنه أن يعيد الى وجهه علامات الكره والاحتقار . انه شيء يصعب عليها قوله ولكن لا بدّ من ذلك فقالت :

«هذا يادومنيكو هو أسلوبي في مكافأة المعجبين عندما يقدمون لي الماس؛ ألم تسمع القول المأثور بأن الماس هو أحسن صديق للفتاة؟.»

لم تصدق ان هذه الكلمات خرجت من فمها . وباتت تترقب حكم الادانة الذي سيصدره .

لقد بدأ كل منهما يهتدي الى الآخر بطريقة ما . فهو أبدى شيئاً من الرقة نحوها وهي من ناحيتها تمنت أن يتغير ما انطبع في ذهنه عنها.

لم يحاول أن يقترب منها بل قال في هدوء:

«أيتها المتشردة الصغيرة.»

فأجفلت وكأنه صدمها . وبحركة لا شعورية اضطرت أن تنظر اليه . وقف ويداه في جيبي بنطلونه وهو يميل بتكاسل على الباب وشحب وجهه الى حد ما ولكن لم يبد عليه شعور بالاشمئزاز وانما اكتفى باظهار شعور بعدم المبالاة . لكن عينيه كانتا باردتين كئيبتين يموج فيها الألم .

وصاحت صيحة نابعة من قلبها المتألم :

«آه يا دومنيكو يا حبيبـــي ! لماذا أصرّ على ايذائــك دائما بهـــذه الطريقة.؟»

ولم تخدعها نظرة اللامبالاة ولا هدوء صوته . كانت تعرف أنها أطفأت بذلك شعلة العاطفة الصغيرة نحوها. لقد جاملها عندما أعطاها حلى أمه لتتقلدها لكنها أورثته شعورا بالاشمئزاز عندما أظهرت جشعها وطمعها وهي تتقبل هديته . لا بدّ انه بات يمقت فكرة تقلدها لحلى والدته . لكن دومنيكو معروف بأنه لا يسترد هدية متى قدمها.

وبحركة تلقائية اتجهت نحوه ملتمسة منه أن يصفح عنها. وكان في وسعها في هذه اللحظة أن تصارحه بالحقيقة الكاملة وتقول له أنها لم تعرف أبدا أي رجل من قبل وأن الماس الوحيد الذي تمتلكه هو الماس الذي تلقته منذ لحظات وانها احبته لا لقيمته المادية بل لأنه هو الذي أعطاه لها ولكن قبل أن تجد الكلمات المناسبة لتعبر عن ذلك بادرها قائلا :

«اذا كان يرضيك أن تعرفي هذه الحقيقة . فقد كدت تخدعينني عندما جعلتيني أفكر في أنني أخطأت فهمك .»

وكان انتفاء الغضب في صوته نتيجة طبيعيه لتحكمه في شفتيه ومحاولته اخفاء ما في عينيه من مرارة.

واستطرد قائلا :

«لا بد أن أعترف أنني عندما ذهبت الى انكلترا لأبحث عنك توقعت أن أجد فتاة أقضي معها وقتاً طيباً وتستجيب لمطالبي، وعلى هذا الأساس تصرفت. ولكن عندما رأيتك وبدأت أعرفك أكثر ـ على ما أعتقد ـ كنت من الحماقه بحيث شككت في حكمي وتقديري، فخالفت طبيعتي وانجذبت اليك لأنك فتنتني.»

واضاف :

«وفي باريس اقتنعت بأنك لست من الفتيات اللواتي يطاردن الرجال من اجل المال. ولأسباب خاصة بك تعمدت اعطائي انطباعاً خاطئاً تماماً عن أخلاقك.»

ثم اعترف بصراحة قائلا:

«في الحقيقة تألمت من طريقة معاملتي لك تلك الليله. وفي الصباح التالي استطعت بصعوبة أن أحمل نفسي على النظر اليك بسبب ما شعرت به من احتقار ذاتي. ولكن الآن...»

وأسرع نحوها وأمسك بكتفيها وقال:

«والآن في روما اكتشفت حقيقتك. امرأة بلا شرفاً، مرتزقة رخيصة، تفعلين كل شيء في سبيل الحصول على أقصى ما يمكن من رجل بلغ به الغباء حداً جعله يصدق ما تظهرينه من سذاجة وطيبة ينسابان كانسياب الماء من الصنبور. رجل بلغ به الغباء حدا جعله يفكر في أن

امرأة مثلك تصلح لأن تعيش في قلب هذه الأسرة وتلقى المحبة والاحترام من سيدة لا تستحقين حتى شرف السير في ظلها...»

لم يرفع صوته مرة واحدة لكن كلماته المريرة كانت جليّة وواضحة. لم تحاول أن تجيبه أو تبرىء نفسها. ارتضت كل اتهاماته بلا اعتراض وهي تعلم أن محاولة مقاطعته لن تجدي نفعاً. ألم تكن هذه هي النتيجة التي حاولت أن تحققها؟ ألم تحاول هي عمداً أن تحرّضه على نفسها لتصل الى هدفها؟ لم تشك مطلقاً في أنها نجحت وكان نجاحها كبيراً. فلا داعي للخوف من أن يعود دومنيكو الى ملاطفاته المفرطة ولا خوف من أن ينفذ سحره اليها. لقد احتقرها. وهي آلمته كثيراً حتى انها لن تحتاج لمحاولة منعه من مغازلتها فهو لن يفعل ذلك بعد اليوم. وقفت بقامتها المشوقة النحيلة في ثوب السهرة المترف الذي تحيط ياقته بوجهها. لقد ارتضت كل ما قاله لها دون أن تصدر عنها أي حركة فاغتاظ لهدوئها وضغط بأصابعه التي كانت تنغرس في لحم كتفيها الناعم ضغطاً شديداً حتى بات الألم غير محتمل. فتأوهت لهذا العذاب الذي فاق طاقتها، وخفّف من قبضته قليلا دون أن يدعها تذهب.

«أجيبيني بصراحة...»

أخذ دومنيكو يقضم هذه الكلمات وكأن وجهه منحوت من صخر أما هي، فانتاب حلقها تقلص هددها بالاختناق، فابتلعت ريقها بألم وأمكنها أن تهمس قائلة:

«لو أمكنني .»

«هل أحببت فيتو؟ أم أنه كان هو الآخر رجلا أحمق سهل خداعه ووقع في شركك؟.»

ولم تعرف بماذا تجيب. وترددت وهي تحاول ان تجمع شتات أفكارها لكنها تأخرت في الرد كثيرا. وأدار لها ظهره وقاوم حدة انفعاله الشديد ولم تجرؤ هي أن تتحرك او ان تتكلم اذ كانت تعلم أن انفعال دومنيكو سيكون عنيفاً ولكنها ما كانت تتصور مقدار سخطه.

وأخيراً عندما التفت اليها كان قد تمالك نفسه من جديد.

خفضت عينيها تنظر الى السجادة تحت قدميها. فأي مكان تنظر اليه خير من مواجهة الأزدراء الواضح في عينيه. وانتظرت حتى قال لها:

«في هذه اللحظة لا أستطيع أن ألمسك ولكن تذكري هذا يا كارولين. في الماضي، كنت تتلقين ثمن خدماتك. حسناً لقد دفعت الثمن من شرفي واسم عائلتي وبدرجة أقل من حلى والدتي. وما كانت والدتي تتصور أن تتقلد امرأة مثلك هذه الحلى.

وأضاف :

«في نيتي أن أجعلك تدفعين الثمن غالياً لحماقتك. قد يمضي بعض الوقت قبل ان انتقم لكنني سافعل استعدي منذ الآن.»

لم ترفع عينيها عن السجادة أثناء حديثه فقد كانت خائفة الى أبعد حد لأن صوته دلّ على انه صادق في وعيده. وتحولت زرقة السجادة الى بحر جياش يهدد بابتلاعها في دواماته. فجذبت نفساً عميقاً وأحست بأن الأرض من تحتها عادت الى استقرارها هنيهة وبشجاعة فائقة

رفعت رأسها ونظرت اليه نظرة احتقار وقالت:

«لو تجرأت على لمسي يا دومنيكو فسأقول كل شيء لعمتك. لقد كنت راغباً فيَ منذ أن التقينا للمرة الاولى وكنت غاضباً من أجل ذلك . إنك تكره نفسك بسبب انجذابك لامرأة أنت تحتقرها. واجه الحقيقة.»

واضافت في تحد:

«انك لا تحتقرني، بل تحتقر نفسك وتريدني أن أتعذب بسبب ذلك. لكني لن أسمح لك بأن تجعلني عبدة لنزواتك.»

وتداعى صوتها بينا تخلت عنها شجاعتها وعضت على شفتها السفلى لتوقف الرعشة التي سرت في وجهها.

ونظر دومنيكو اليها وقطب حاجبيه الأسودين وقال:

«سترى يا كارولين... سترى !.»

٦ ـ كنديدا

وصلا الى باب الصالون الكبير حيث تقام الحفلة لحظة وصول أول الضيوف . وتنفست العمة رينا الصعداء وحيّتهما متلهفة قائلة:

«ها أنتما أيها العزيزان . كنت أخشى أن أضطر الى تقديم اعتذاركما الى ضيوفنا.»

ومدّت العمة رينا يدها الى كارولين وهتفت :

«ما أجمل زوجتك يادومنيكو . سيحسدك كل الأقارب هذا المساء.»

والتفتت الى كارولين وقالت :

«أرى أنك زرت صديقتي العزيزة بريجيت عندما كنت في باريس فهي وحدها القادرة على اختيار الثوب الملائم.»

وقادتهما الى الصالون سريعاً ووقفا عند مدخله ليكونا أول من يحيّي الضيوف عند وصولهم .

أخذ دومنيكو يتقبل تهاني أصدقائه وأفراد عائلته . أما كارولين فقد صافحت مجموعة كبيرة من العمّات والأعمام وأبناء الأعمام . وشعرت بأنهم جميعا كانوا مسرورين بانضمامها الى العائلة . وما

كانت لتهتم لو أنهم لم يرحبوا بها لانها لا تزال متأثرة مما حدث منذ لحظات . زرعت تلك التجربة في نفسها الثقه والهدوء .

بدأ الضيوف غير المدعوين الى العشاء بالانصراف وسرعان ما خلت الغرفة من الموجودين عدا أفراد العائلة المدعوين لتناول العشاء . وأخذت العمة رينا تقودهم الى غرفة مجاورة أصغر حجما مدّت فيها مائدة ضخمة .

وعندما اطمأنت العمة الى أن كل فرد اتخذ مكانه أعطت الاشاره لتقديم طعام العشاء . وجلس دومنيكو الى يمين عمته وجلست كارولين الى يسارها في مواجهته . وظل المقعد الذي يجاوره خالياً ورأته يلتقط البطاقة الموضوعة على المائدة أمام المكان الشاغر ، وعندما قرأ الاسم المطبوع عليها رفع حاجبيه مستفسرا من عمته في صمت . فأجابته بهزة من كتفيها وبلا مبالاة وبشيء من العبوس والضيق . وتساءلت كارولين ترى من يكون ذلك الشخص الغائب ، والتفتت لتسأل الشاب الذي كان يجاورها والذي اتضح انه جيوفاني ابن عم دومنيكو الصغير . ولكن قبل أن تتاح لها فرصة توجيه السؤال اليه فتح باب غرفة الطعام واندفعت منه فتاة تضحك وتعتذر وفي أثرها رجل بدا عليه أنه يفضل أن يكون في هذه اللحظة في أي مكان آخر غير هذا المكان المقيّد بالشكليات.

وامسكت كارولين أنفاسها كما فعل باقي أفراد العائلة عندما اتجهت أبصارهم الى جمال الفتاة الأخاذ وقد توقفت لحظة تلوح بابتهاج

لمجموعة أفراد الأسرة قبل أن تندفع الى العمة رينا وهي تقدم اليها اعتذاراً عن تأخرها .

«معذرة يا عمتي العزيزة لسلوكي . كنت أنوي أن أحضر في الموعد لأنني أعلم أنك تكرهين الانتظار وقد جئت على عجل .»

ثم التفتت الفتاة الى دومنيكو ، وكان قد وقف مثلما فعل الآخرون عندما ظهرت هذه الفتاة ، وألقت بذراعيها حوله وهي تصيح :

«دومنيكو يا عزيزي دوم كم افتقدتك !»

وشعرت كارولين بألم مفاجيء بسبب ما انتابها من انفعال وهي تراقب ما يحصل ، ولم تكن لتعرف بأن هذا هو شعور بالغيرة، ولكنها أحسّت بكراهية تجاه الفتاة وقد ارتدت ثوباً خليعاً في لون اللهب المتقد وألقت بذراعيها حول دومنيكو .

وبدا أن دومنيكو استمتع بذلك . فابتسم لها وامتدت يداه الى خصرها النحيل وهو ينحني عليها .

وارتفع صوت العمة رينا :

«كنديدا ! أنت متهورة دائماً ! أرجوك أن تقدمي صديقك الى الضيوف .»

فردّت قائلة :

«آه اني آسفة ياعزيزي جيفري . يسعدني أن أقدّم جيفري غراهام الى الجميع . وسأقدم يا جيفرى كلا منهم على حدة فيا بعد.»

وابتسم الشاب الأشقر الشعر ابتسامة ساخرة وانحنى قليلا محييا

الجميع وتقدم الى المائدة ليقابل المضيفة ، وتمتم بعبارة اعتذار بينما ابتسمت له العمة رينا ابتسامة باردة وأوضحت له أن جميع الأماكن التي في مقدمة المائدة مشغولة ، وأنه لن يستطيع الجلوس في جوار صديقته .

وبدأ الجميع يتكلمون متجاهلين هذا الحادث المحرج ملقين أكثر من نظرة تأمل في اتجاه كارولين بينما استغرقوا في الطعام . وحاولت أن تبدو طبيعية وتحدثت مع جيوفاني الذي كان ينظر اليها في اعجاب .

عاملته بلطف لا لأن هناك شبهاً كبيراً بينه وبين دومنيكو قبل أن يكتسب هذا المظهر الخادع المصطنع . وحاولت أن تنسى كيف أشرقت عينا دومنيكو عندما شاهد الفتاة التي تجلس في مواجهتها.

نقلت العمة رينا نظراتها الحائرة بينه وبين كارولين لاحساسها بالفتور الذي كان بينهما ، وازداد ضيقها عندما لاحظت أن دومنيكو لم يحاول أن يشرك كارولين في حديثه .

وكنديدا

لم تبد إهتماماً بأي شخص سوى دومنيكو برغم أنها تعرف الغرض من العشاء الذي اقيم بمناسبة انضمام كارولين الى العائلة .

وبتصميم ، قطعت عليها العمه رينا حديثها ، ورفع دومنيكو رأسه من وجه رفيقته عندما سمع نبرة اللوم غير المألوفة فى صوتها:

«دومنيكو ، انت لم تقدّم كنديدا الى كارولين حتى الآن . وستظن أننا كعائلة نجهل آداب السلوك جهلا تاماً . هل تتولى الأمر بنفسك أو

أتولاه أنا ؟»

وكان استياؤها واضحاً ، لكن دومنيكو لم ينزعج بل ابتسم كأن شيئاً لم يكن وقال :

«أسف ياعزيزتي لكني لم أر كنديدا منذ وقت طويل ولدينا أصدقاء كثيرون نعرفهم ونتحدث عنهم . معذرة .»

وألقى على زوجته نظرة خاطفة عبر المائدة فيها تحذير من اظهار أي روح عدائية، وتولاه شعور بالرضى عندما بادلته النظرة برباطة جأش.

«إنّ كنديدا بنت عم بعيدة جداً لكنها دائما كانت المفضلة عندي بصفة خاصة . لعبنا معا ونحن أطفال : هي وفيتو وأنا ولم نكن نفترق .»

والتفت الى كنديدا قائلا :

«أحب أن تلتقي كارولين وأمل أن تصبحا صديقتين .»

ابتسمت كنديدا بعد عناء، ولم تلبث أن انحرفت الى زاوية فمها عند تقديم كارولين اليها وقالت :

«لا شك يا دومنيكو أننا سنكون صديقتين . فأحب شيء الى نفسي هو أن أتعرف الى زوجتك . ويجب بعد العشاء يا كارولين أن نرتب موعداً لأدلك الى أحسن الأماكن التي تشترين منها احتياجاتك . وببساطة يجب أن تقابلي أصدقائي . انهم جميعا يتطلعون الى مقابلة الفتاة التي فازت بأكثر عزاب روما مراوغة.»

قالت كارولين فى ازدراء :

«لعلّه كان قد سئم مطاردة الفتيات عندما فزت به .»

وكان التركيز على قولها كافياً ليشير بوضوح الى احتقارها للنساء اللواتي ركضن خلفه ، واحمر وجه كنديدا غضباً اذ أدركت ما تعنيه .

وكاد جيوفاني يختنق وهو يتناول الحساء عند سماعه رد كارولين. ولفت الانظار اليه وهو يحاول التحكم في نوبة السعال التي انتابته. وكانت كارولين مسرورة وهي تمد اليه يد العون وتجنبت أن تدخل مرة ثانية في حديث مع دومنيكو أو كنديدا طوال الفترة الباقية من تناول العشاء.

وبدا لكارولين وكأن طعام العشاء انتهى بعد ساعات طويلة . وجلس أفراد العائلة المسنّون في مجموعات هنا وهناك متخمين من الطعام يثرثرون . أما الشباب منهم فبدأ الملل يتسرّب اليهم فاقترح أحدهم أن يدير جهاز التسجيل في الصالون الصغير الذي كان كثيراً ما يستعمل للرقص . وقوبل الاقتراح بحماسة وهرع الجميع الى الخارج .

كانت كارولين تجلس مع العمة رينا ومن هم في سنها تحاول أن تقاوم اغراء البحث عن دومنيكو الذي ظل الى جوار كنديدا منذ أن انتهى طعام العشاء . وبدأت تشعر بغضب شديد اذ أصبح واضحاً للملأ أنه كان راضياً تماماً عن صحبة ابنة عمه الجميلة متجاهلا زوجته . ورفعت بصرها في ارتياح عندما اتجه اليها جيوفاني وقال :

«هل ترقصين معي يا كارولين ؟»

قادها الى الصالون الصغير حيث استغرق بقية أفراد الأسرة في جو

من المرح ودفعها الى حلبة الرقص . كان راقصاً ممتازاً يعشق موسيقى الرقص القديم . تجنبت النظر الى الفتية وهم يرقصون ملتصقين . لم تشأ أن تتذكر سعادتها عندما رقصت للمرة الأولى مع دومنيكو في الليلة التي قضياها في باريس برغم حنينها الى ذلك .

انتبه جيوفاني عندما شعر بيد تربت على كتفه . ودهشت كارولين عندما رأت جيفري غراهام الرجل الذي جاء مع كنديدا قال :

«أيمكنني أن أعترض سبيلكما ؟»

لم يكن جيوفاني راضياً لكنه تخلّ عن مكانه في هدوء، وترك الرجل الانكليزي الأشقر يصطحبها الى حلبة الرقص ويقول :

«هل تمانعين ؟»

وتلعثمت قائلة :

«لا ، لماذا ؟»

تغيرت الموسيقى من اللحن البطيء الى الخفقات السريعة للحن بدائي لاتيني ، واستسلمت للموسيقى وتتبعت قدميه بلا خطأ . جذبها اليه أكثر فأكثر عندما أسرعت الموسيقى . ثم بلغت الذروة باصطدام صنجات الموسيقى ودقات الطبول فأخذ يدور بها حتى أصيبت بدوار ثم سقطا ضاحكين على أريكة مريحة قرب حلبة الرقص . ودون تكلّف مدّت يدها وهي مازالت تضحك وقالت :

«شكرا يا جيفري . كان ذلك رائعاً.»

ورفع يدها الى شفتيه وقبلها . ووضح اعجابه بها وهو ينظر الى

وجهها المفعم بالحيوية .

وفجأة كأن سحابة حجبت الشمس فزالت الاشراقة من عينيها وبدأ الاحرار يغمر وجهها الجميل في بطء. نظر جيفري يبحث عن سبب هذا التغيير السريع فوجد دومنيكو يحدّق فيهما غاضباً فنهض سريعاً وتكلم هو قبل دومنيكو وقال :

«يجب أن أهنئك يا سيد فيكاري . إن زوجتك رائعة في الرقص.»

ورد دومنيكو ببرود واضح قائلا :

«ليس هناك ما أجهله عن زوجتي لتأتي انت تطلعني عليه .»

لم يتضايق جيفري فقد اعتاد على الأزواج الغيورين بل ابتسم لدومنيكو معتذراً واتجه الى حيث وقفت كنديدا على بضعة أقدام من دومنيكو .

تأملت كنديدا جيفرى وهو يسير تجاهها بتؤددة وقالت :

«لماذا لا تتصرّف تصرفاً حسناً ياجيفري ؟ هل يجب أن تظهر مع كل امرأة تلتقيها ؟ اني لا أعرف ماذا يعجبكم ايها الرجال في مخلوقات تافهة كهذه !»

«انك تحقدين عليها لجمالها الرائع أني احسد الرجل الذي تزوجها.»

نظرت اليه في غضب وانتفضت لتسير في اتجاه دومنيكو . لكنها تأخرت فقد كان دومنيكو يراقص زوجته فنظرت اليهما وهما يختفيان وسط الحلبة في واحة من الفراغ حيث يستطيعان التحدث دون أن يسمعهما أحد . قال دومنيكو:

«ماذا تعنين بسلوكك ؟»

«ماذا تقصد ؟»

«هل لا بد أن تقومي بهذا الاستعراض أمام عائلتي ومع رجل غريب؟»

«كيف تجرؤ على اتهامي بأن سلوكي مخز بينما كنت تتصرف طوال السهرة كمراهق يحلم بابنة عمه البعيدة جداً. لكني لاحظت الليلة أنها ليست بعيدة إلا بالقدر الذي اردته أنت . وفي الحقيقة لا يدهشني أبداً أن أعرف أنها لم تكن بعيدة عنك في الماضي .»

«ذلك خطأ لا يغتفر !»

وتألمت عندما ضغط عليها بذراعيه وشعرت بحدة انفعاله وهو يقول :

«كنديدا كانت وستظل دائماً صديقة عزيزة ، وهذا كل ما في الأمر. كيف تفكرين في غير ذلك ؟ ألم تعرض عليك أنت أيضا صداقتها؟»

جذبت كارولين نفساً عميقاً وتعجبت لخداع الرجال عندما يتعلق الأمر بامرأة . ثم نظرت اليه باحتقار قائلة :

«انني أفضل مصادقة الأفعى .»

وارتعشت عضله في وجنته وادركت أنها بالغت في تماديها . لقد كان وفياً لعائلته ومتعصباً لها وهي أهانت أحد افرادها ولكنها لم تبال . أرهقت الليلة أعصابها الى حدّ لا يطاق . فثورة الغضب التي نشبت في غرفة نومها ثم المتاعب التي واجهتها عند تناول العشاء ، كل ذلك

كان أكثر مما يمكن احتماله وها هو يتهمها بشيء كان هو السبب المباشر في حدوثه . لقد اعتبر رقصة بريئة مع غريب سلوكاً مخزياً برغم أنه كان قبلة الأنظار لاهتمامه الواضح بابنة عمه الدخيلة . ومع ذلك ، فقد كانت لديه الوقاحة ليلومها وكأنها ارتكبت جريمة شنعاء .

قال لها :

«لا بد أن تعتذرى لهذا العرض الطفولي المخزى .»

وصدّته قائلة :

«لن افعل ابداً .»

شعرت كارولين بارتياح وهي ترى كنديدا وجيفرى يقبلان نحوها فقد لاحظت كنديدا اشارتها المنفعلة في اتجاه جيفرى وحينما وصلت اليهما ردّت عليها بابتسامة قائلة :

« ألا نبدّل رفاقنا ياعزيزي دوم ؟ فنحن لم نرقص سوياً منذ اشهر وانني لواثقة من أن زوجتك لا تمانع في الرقص مع جيفري ثانية.»

تجنبت كارولين الاجابة وانسلت متلهفة من بين يدي دومنيكو الى جيفرى قبل أن ينتبه الى نيّتها. وعندما بادلتها كنديدا المكان ارتسمت على وجهه ابتسامة متجهمة ، كانت تعرف أنه يكره اظهار غضبه على مرأى من الجميع ، أما بالنسبة الى ما يحدث بعد ذلك فلا حاجة للتفكير فيه الآن .

وشارفت الحفلة على الانتهاء، وأخذ المدعوون ينصرفون الواحد تلو الآخر .

قاد جيفري كارولين الى الشرفة ثم سارا بين الأشجار الى حديقة منخفضة فيها مقاعد على مسافات ملائمة . وغاصت كارولين في أحد المقاعد وتنهدت بارتياح وأخذت تتأمل جمال الحديقة التي غمرها ضوء القمر .

اقترب منها جيفري فصدته وقالت :

«لا يا جيفري .»

فهز كتفيه بلا مبالاة ورفع ذراعه قائلا :

«ولم لا ؟»

«لأنني لا أبحث عن علاقة غير شرعية . أستطيع أن اهديك صداقتي ، لكن اذا لم يكن ذلك كافياً فمن الأفضل أن تذهب .»

«هل تظنين أن كنديدا ستقدم لزوجك صداقة ؟»

«كلا. لا أعتقد ذلك .»

«آه يا كارولين أيتها الحمقاء الصغيرة ألا تعرفين نيتها ؟ ان الغيرة تكاد تأكلها لزواجك من دومنيكو . فمنذ سنوات وهي تعتبره ملكاً خاصاً بها ، وهي لن تدع شيئا تافها مثل زوجته يقف في طريقها.»

«هل تظن أن دومنيكو يحبها ؟»

«هل تعتقدين ان زوجك يحبك ؟»

وأدركت ولكن بعد فوات الأوان أن قدمها انزلقت فقد كان جيفري ينظر اليها في دهشة بالغة منتظراً اجابتها.

فتمتمت قائلة :

«نعم... أعتقد ذلك .»

«من الواضح أن الأمور ليست على مايرام بينك وبين دومنيكو . فلا تكلفي نفسك عناء الانكار ! لقد صادفت عدداً كبيراً من الزيجات غير السعيدة .»

ثم رمقها بنظرة حادة وقال :

«ان كنديدا غانية لعوب وستفعل كل ما في وسعها لتحصل على دومنيكو.»

وأدركت من نظرته انه كان يحب كنديدا ولم تكن تريده . فأمسكت بذراعه برفق وحنان وجلسا غارقين في أفكارهما .

استطرد جيفري قائلا :

«مهما بلغ الأمر بينكما فانني أنصحك بأن تحاولي اصلاحه في أقرب فرصة اذا اردت الاحتفاظ بدومنيكو . وبالنسبة الي فسأفعل كل ما في وسعي لامنعها من التمادي .»

رجفت كارولين قليلا وجذبها لتنهض وحثها على العودة الى المنزل وسارا تجاه النافذة ليدخلا الغرفة حيث تركا كنديدا ودومنيكو . وكادت كارولين تدخل لولا أن جيفري أمسك بذراعها وجذبها الى حيث لا يراهما الشخصان اللذان كانا مستغرقين في الداخل .

لم تكن كارولين تنوي التنصت ، الدهشة جعلتها تصمت . ثم نظرت عبر النافذة فاضطرب قلبها وكأنه انقلب رأساً على عقب .

كان ظهر كنديدا تجاهها و وجه دومنيكو بين يديها وقد ثبت عينيه

على وجهها. وكانت تتكلم في الحاح قائلة:

«لماذا فعلت ذلك يا دوم ؟ انني أعرف أنك كنت ولا تزال تحبني انا وحدي ! لماذا تزوجتها ؟»

ولم تنتظر اجابته لكنها ألقت بذراعيها حوله وراحت تبكي .

لم تعد كارولين قادرة على متابعة ما يحصل . اشاحت ببصرها عن النافذة وانسلت عبر نافذه غرفة الطعام وهرولت الى غرفتها.

٧ ـ حوار مع العمة

استلقت كارولين على مقعد في الشرفة ممسكة بقلم بين أصابعها واستقر على ركبتها دفتر لكتابة الرسائل ، بينما كان الطفل فيتو يلهو تحت ظل شجرة كبيرة بالدمى التي اشتراها دومنيكو .

ومنذ ليلة الحفلة وهي لا تكاد ترى دومنيكو ، فالعمل . تراكم في غيابه والعبء تضاعف عليه لأن فيتو لم يعد له وجود ولكنها كانت تعتقد بأن لديه وقت فراغ . يمكن ان يمضيه معها .

كان يقوم بزيارات خاطفة الى منزله كل مساء ليستحم و يبدّل ملابسه ثم الى الخارج . كان يبكر في الخروج الى العمل كل صباح قبل أن يستيقظ أحد في المنزل ولم يكن يعود حتى الساعات الأولى من صباح اليوم التالي . وفي المرات النادرة التي قابلته فيها اكتفى بالقاء نظرة خاطفة وتحيّة موجزة دون أن يبدي أي اعتذار عن غيابه .

واستبدّ بالعمة رينا غضب شديد ، وأرادت أن تعرب له عن احتجاجها على اهماله لأسرته ، لكن كارولين أثنتها عن ذلك ، فهي أيضاً كانت في حاجة الى فسحة من الوقت تحدّد فيها موقفها وتقرر

كيف تتصرف .

كانت واثقة من شيء واحد فقط هو أنها يجب أن تهرب بعيداً الى حيث تنعم بالراحة ، وحيث يتعذر على دومنيكو الاهتداء اليها.

ولكن ينبغي عليها قبل كل شيء أن تعثر على دورندا فلو حدث ذلك لأمكنها أن تصارح دومنيكو بالحقيقة وعندئذ يصبح حراً في الذهاب الى كنديدا . وطردت الأفكار التي راودتها في تلك الليلة عندما اكتشفت أنهما يتبادلان الحب . ومنذ ذاك الحين استسلمت الى قدرها المحتوم وارتضت حقيقة الحلم الحزين الذي طالما تمنّته ، وهو أنه لا بدّ أن يجيء يوم يحبّها فيه دومنيكو ويطلب منها البقاء ، حتى بعد أن يقف على الحقيقة . لقد أحسنت تقمص دورها أكثر مما ينبغي ولا سبيل الى تغيير الرأي الذى كوّنه عنها ، خاصة في الوقت الراهن وكنديدا الى جانبه لتواسيه .

التقطت دفتر الرسائل وبدأت تكتب . كانت الرسالة الاولى موجهة الى السيد ولكنز ترجوه الاستعانة بشخص يقوم بالبحث عن دورندا وأوضحت له حاجتها الملحة الى ذلك راجية إياه ألاّ يلتمس أي عذر يثنيه عن البحث عنها .

بعثت بالرسالة الثانية الى جين وقد احتاج هذا منها الى مجهود أكبر وتفكير أعمق . ففي المدة التي سبقت زواجها كتبت الى جين رسالة موجزة تبلغها فيها نبأ رحيلها المفاجىء من انكلترا دون أن تتطرّق الى التفاصيل. ووعدتها بأن تكتب اليها بتفصيل أكبر عندما تستقر،

لكنها لا تعرف الآن من أين تبدأ وعمّا تحدثها. لقد كانت جين على قدر كبير من الذكاء ، كما أنها لم تكن راغبة في خداعها اذ سئمت ان تستمر في الخداع الذي اضطرت الى اعتياده منذ زواجها ، وهي لم تكن تنوي أن تكذب على جين. وفي الوقت ذاته لم تكن تستطيع التوسع في رواية هذه القصة القريبة من الخيال دون أن تفضح أمر دورندا. وعضّت على قلمها وهي تفكر فيما تكتبه وما تتركه . وأرضت نفسها بأن كتبت رسالة مرحة لا تفضح حقيقة ما تعانيه ، ووعدت صديقتها بزيارة في أقرب فرصة لتقص عليها التفاصيل . ووضعت الرسالة في مظروف أغلقته سريعاً قبل أن تغيّر رأيها راجية أن تعالج بذلك قلق جين ازاء زواجها المفاجىء من رجل لم تكن قد سمعت عنه .

سمعت وقع خطوات فاستدارت واذا بالعمة رينا آتية من الداخل لتجلس معها في الشرفة . كانت تزور احدى صديقاتها وبدا عليها الارهاق ، كما هي حالها كلّما اتعبت نفسها .

وبادرت كارولين الى مساعدتها على الجلوس الى جانبها ، وعاتبتها برقة قائلة :

«يا عزيزتي أرجو أن تأخذي قسطاً أكبر من الراحة وتطيعي أوامر الطبيب فأنت تبدين مجهدة . اجلسي لتستريحي وسأنادي ايمانيويل ليحضر لك شراباً منعشاً.»

وقبلت العمة رينا اقتراحها شاكرة وجلست وقالت :

«شكراً يا كارولين فما أجمل ذلك . انك تبعثين الطمأنينة الى قلبي.»

ثم أمسكت بيد كارولين ورمقتها بنظرة حنان . واغرورقت عينا كارولين بالدمع . ما أسعدها بحب هذه السيدة العجوز .

«لماذا ترهقين نفسك يا عمتي رينا ؟»

«لماذا ؟ لست أدري . أنني أجد الراحة مستحيلة . وعليّ دائماً أن أفعل شيئاً ما أو أذهب الى مكان ما.»

وأضافت :

«أظن أن السبب هو أنني لا استطيع الكف عن التفكير في ابني . أ لو استطيع ان اعرف ماذا حدث له وكيف لقي حتفه وفي أي مكان . فلعلي كنت أجد في ذلك بعض الراحة .»

اتجهت اليها كارولين وأمسكت بيدها تضغط عليها في عطف . فقد شعرت بعجزها عن تخفيف آلام هذه السيدة . كانت هذه هي المرة الأولى التي تتخلى فيها عن الدرع الذي وضعته حول نفسها تحتمي به كلّما ذكر اسم فيتو . ولم تعرف كارولين كيف تتصرف .

سألتها برقّة :

«هل يريحك أن تتحدثي عنه ؟»

«لا أظن أن هناك ما يجلب لي الراحة .»

وبعد فترة صمت بدأت العمة تتكلم عنه قائلة :

«كان ابننا الوحيد طالما دعونا الله لأن يرزقنا طفلا ، فلما منّ الله علينا به فرحنا به كثيراً واكتملت سعادتنا أخيراً عندما جاء دومنيكو ليعيش معنا. وكان الولدان وسيمين وكنت أشعر بالفخر كلّما زارتني

أمهات الفتيات اللواتي كن يصحبانها الى الحفلات ويبدين اعجابهن بسلوكهما . وبقيت سنوات طويلة وأنا آمل أن أراهما يأتيان الي ليخبراني بأنهما قد اختارا زوجتيهما . وهو أمر كنت أخشاه في الوقت نفسه .»

ومضت تقول :

«كم كان سيسعدني أن أرى فيتو مع زوجة مثلك يا عزيزتي. ولكن ذلك أصبح مستحيلاً الآن .»

جففت عينيها واستطاعت بعد استجماع شجاعتها أن تبتسم وصمّمت على أن تنفض عنها الكآبة التي استولت عليها.

سألتها كارولين :

«هل كان هناك شبه بينهما ؟»

« كان الشبه بينهما كبيراً ، فهما من آل فيكاري لكنهما كانا على طرف نقيض من حيث المزاج . كان فيتو أكثر تقلباً من دومنيكو الا أنني أعتقد أحيانا أن وفاة والد دومنيكو ووالدته كانت السبب المباشر في كآبته . كان يحبهما كثيراً وطبيعي أنه كان يتذكرهما ويتذكر الأوقات السعيدة التي قضاها معهما . بذلنا أقصى ما في وسعنا لنحل محلهما ، وهو أمر لا أعتقد أننا نجحنا فيه كل النجاح . وحتى الآن لا يزال دومنيكو حتى في أسعد لحظات حياته يتحدث بعينيه عن شعوره بفقدان والديه .»

وبعد تردد قليل قالت :

«آمل يا عزيزتي أن تنجحي أنت حيث فشلت أنا وأن تتمكني من تبديد أحزانه الى الأبد.»

واسترعى الطفل فيتو انتباهها عندما سقطت منه احدى لعبه وما أن سمعتا صوته الحزين حتى وثبتا لمساعدته . لم يلحق به ضرر لكن العمة رينا التي كانت تتلمس الفرص للاهتمام به دون أن تبدو وكأنها تدلله ، حملته بين ذراعيها وعادت الى مقعدها في الشرفة . كانت كارولين تهمّ بمصارحة العجوز بأحزانها ومخاوفها لكن جرس الباب رنّ فاسرع اليه ايمانيويل ، ثم حدثت جلبة قصيرة أثارت فضولها فنهضتا لاستجلاء سبب ذلك ووجدتا أكواماً من الصناديق وايمانيويل يقوم بصفّها في إحدى الزوايا مع رجل آخر . وشهقت كارولين عندما عرفت أن ملابسها وصلت من باريس وقالت للعمة رينا وهي تستدير نحوها :

«لا بد أن في الأمر خطأً ما ، لأنني لم أطلب كل هذه الملابس! ولا بدّ أن أوضح الأمر للحمّال .»

لكن الحمّال صمم على رأيه قائلا :

«ان كل صندوق وارد في الفاتورة وليس ثمة خطأ يا سيدتي فكل هذه الطرود لك .»

نظرت الى الكمية المذهلة من الملابس . كانت قد طلبت ستة فساتين للصباح وثوبين للمساء وبعض الملابس للشاطىء وبعض الملابس الداخلية وغيرها للسهرة . وهذا كله قليل بالنسبة الى الكمية

الهائلة التي وصلتها والتي ستضيق بها خزانة ملابسها الضخمة .

ثم تذكرت أنها غابت فترة عند مصفف الشعر وتركت دومنيكو وبريجيت وحدهما . لا بدّ أنهما تآمرا عليها في هذه الفترة ، ولا بدّ أن دومنيكو هو المسؤول عن هذا التبذير .

نقل ايمانيويل الصناديق الى غرفتها . وبدأت تفتحها وهي تقاوم مشاعرها بينما أخذت العمة رينا تبدي اعجابها فى مبتكرات بريجيت .

أبقت كارولين صندوقين كبيرين الى النهاية ولما فتحتها أسعدها أن تجد في أحدهما فرواً دخاني اللون ، وفي الآخر ثوباً من الفرو الأبيض الغالي الثمن الذي بدا وكأنه مصمم لاحدى الاميرات .

وعقدت الدهشة لسان كارولين . وربتت العمة رينا على يدها برقة وضحكت لما رأته على وجهها من امارات الذهول والدهشة ثم قالت :

«أرى أن هدايا دومنيكو أسعدتك ...»

«آه يا عمتي رينا ! لا بد أنه دفع ثمناً كبيراً لها ، فلم أر في حياتي ملابس بهذا القدر ولا حتى في محلات الأزياء . انني أكاد لا أصدق أنها لي . متى سأرتديها جميعا ؟»

«ستتاح لك الفرصة لارتدائها يا طفلتي ، كزوجة أحد رجال الأعمال البارزين في روما اذ يتحتم عليك أن تقيمي المآدب وتقبلي الدعوات ، فلا تخافي . لن تلبثي أن تسأمي هذه الثياب عندما تجدين نفسك في دوامة الحياة الاجتماعية . ومرة أخرى أقول انك مدينة لدومنيكو لأنه جعل منك واحدة من اكثر السيدات اناقة .»

وتبدّد جزء من سرورها بالهدايا عندما أشارت العمة رينا دون قصد منها الى سبب تبذير دومنيكو . فهو لم يشترِ لها هذه الملابس ليدخل السرور الى قلبها بل اشتراها ليزداد أهمية في نظر زملائه من رجال الأعمال وزوجاتهم ، فقد كان عليها أن تعزز مركز أسرة فيكاري بما ترتديه من ملابس خرافية ومجوهرات لا تقدّر بمال . انها مجرد تمثال تعلق عليه زخارف الثراء اكتساباً لمزيد من الأهمية لدى منافسيه .

وعندما انصرفت العمة بدأت ترتب ملابسها في الخزانة الفسيحة حتى ملأتها . وبدلا من أن تغلقها أخذت تتناول الثياب بطريقة عشوائية لمجرد ادخال السعادة الى قلبها . ونسيت انها كانت ترتدي الجينز والقميص عندما قابلت دومنيكو للمرة الاولى وغابت في حلم وهي ترى نفسها مرتدية ثوباً مختلفاً في كل مرة يستدير دومنيكو لينظر اليها وعلى وجهه نظرة اغتباط وهو يرى فتنتها في أروع صورها بهذه الملابس المذهلة والفراء الباهظ الثمن. وبينما هي غارقة في افكارها دقّ الباب فنقلها ذلك من قمة أحلامها الى أرض الواقع ونادت بصوت عال :

«ادخل .»

كانت أدلينا .

«هناك رجل يريد التحدث اليك في التليفون .»

«أشكرك يا أدلينا سأنزل حالا .»

أغلقت خزانة ملابسها وأسرعت الى القاعة التي فيها التليفون

وتناولته قائلة :

«ألو ؟»

«كارولين ؟ أنا جيفري . هل أنت مشغولة الآن . اذا لم يكن لديك أي عمل فهل تأتي ؟ أكاد أجن من الملل ، وأحتاج الى من يؤنسني.»

«لا يا جيفري لا أعتقد ذلك .»

«ولم . هل أنت خائفة مما قد يقوله سيدك ومولاك ؟ ان السبب الوحيد للفراغ الذي أشعر به هو أنه سرق مني فتاتي المفضلة . كلما طلبت رؤيتها اجابت بأنها ستقابل دومنيكو .»

«آسفة يا جيفري فلدي أشياء كثيرة تشغلني الآن ولا أستطيع الخروج معك.»

ولم تستجب للصوت الذي كان ينادي في داخلها ان دومنيكو يمتع نفسه فلم لا تفعل هي الشيء نفسه . أرادت أن تكون في المنزل هذا المساء لتشكره على هداياه عندما يعود .

وسمعت تنهده عبر الأسلاك بعد أن أيقن عبث محاولة الضغط عليها ثم قال لها :

«حسنا اعترف أنني هزمت لكنني سأتصل بك ثانية فيما بعد فربما تغيرّين رأيك .»

«آه ولكن ...»

كانت كارولين على وشك الاعتراض لكنه كان قد وضع السماعة. ونسيته عندما عادت الى غرفتها لتختار الفستان الذي ترتديه هذا

المساء عندما تقابل دومنيكو . كانت تعرف أنها يجب أن تتصرف بسرعة قبل ان يعود الى الخروج . لكنها قررت أن تنتظره حتى يستحم ثم تعترض طريقه قبل أن يسرع الى الخارج كعادته.

وأمضت وقتاً طويلا وهي تفكر في اختيار ثوبها . كانت العمة رينا تصرّ دائماً على أن ترتدي ثوباً جديداً في العشاء حتى ولو لم يكن هناك غيرها ، فأخذت تتأمل ملابس المساء . كان معظمها فاتح اللون لكن كارولين قررت أن ترتدي ثوباً أسود . كما اعتزمت أن تقوم بتصفيف شعرها دون مساعدة أدلينا.

ولم تسأل نفسها وهي تستحم وتزين وجهها ماذا تريد من دومنيكو . ولم تكف عن التساؤل لماذا كل هذا الجهد مع رجل فعلت المستحيل لكي تنفره منها. ففي الأيام القليلة الماضية استولى عليها قلق لم تستطيع تفسيره . كانت الأيام تمر ببطء وداخلها شعور بالخيبة واحساس بأنها تتعرض لمعاملة سيئة كلما أسرع دومنيكو داخلا أو خارجاً من المنزل دون أن ينظر اليها أو يكلمها . أما هذه الليلة ، فقد شعرت بتبدّل ملحوظ وأرادت أن يكون معها شاب يشاركها ذلك ، شاب مثل دومنيكو عندما كان في باريس يضحك ويمزح ويغازل .

انتهت من زينتها ولم يعد أمامها سوى انتظار دومنيكو فجلست وقد عقدت يديها في حجرها تتوقع سماع صوت سيارته ووقع خطواته تعلن وصوله .

وتناولت العشاء مع العمة رينا التي أكدت لها أنها فاتنة في هذه الليلة وقالت :

«سأطلب من دومنيكو أن يصحبك لمشاهدة بعض معالم المدينة بعد العشاء. أنك لم تخرجي من المنزل منذ وصولك وسأغضب كثيراً اذا ظلّ على هذه الحال بعد اليوم .»

وبعد العشاء واحتساء القهوة جلستا في الشرفة لكن دومنيكو تأخر ولم يصل إلاّ بعد أن حلّ الظلام .

نهضت عمته سريعاً وعلى وجهها نظرة اصرار لمقابلته . وسمعتها كارولين وهي تتحدث اليه ثم تطلق صرخة بدت وكأنها ترثي له . ولم يتكلم دومنيكو إلاّ مرة واحدة لكنها لم تفهم ماذا قال فقد كان صوته مختلفاً ، تنقصه القوة والسيطرة الى حد ما . وسمعت كارولين وقع خطواته على الدرج فوثبت لتلحق به لكن العمة رينا دخلت الغرفة ورفعت يدها لتوقفها قائلة :

«لا ، لا تفعلي هذا يا كارولين !»

«لكني أريد أن أتحدث اليه دقيقة واحدة ياعمتي رينا.»

«في وقت آخر ياعزيزتي . اتركيه الآن لأنه ليس على ما يرام.»

«ولكن ماذا به ؟»

«أؤكد لك أن التزامه الراحة بعض الوقت مع الهدوء كفيلان باعادته الى حالته الطبيعية . لا تنزعجي يا عزيزتي فانه مجرد صداع نصفي أصيب به منذ أن كان في السابعة من عمره بعد وفاة والديه . وكثيراً ما تساءلت عما اذا كانت هناك صلة بين الأمرين.»

فرددت كارولين كلامها قائلة :

«صداع نصفي ؟ مسكين يا دومنيكو .»

«هل عانيت منه يا كارولين من قبل ؟»

«كلا ولكني كنت أمرّض والدي عندما تعتريه النوبة فقد كان ضحية هذا المرض وكثيراً ما كان يطلب الموت اذا اشتدّ عليه الألم. وكنت أخفف عنه وطأته بوضع منشفة باردة على جبينه وتدليك رقبته . وبعد ساعتين من النوم يصحو ممتلئاً حيوية .»

«أود لو تفعلين الشيء نفسه مع دومنيكو يا طفلتي ، لكنه لا يسمح لأحد بدخول غرفته عندما تعتريه هذه الحالة ، ويظل ملازما الغرفة حتى يزول الألم لكنني أسمعه أحياناً يتجول في الغرفة . وصف له الأطباء أقراصاً ولكنه يرفض تناولها لأنها لا تخفف من آلامه . ويرى الأطباء ان هذا الصداع النصفي قد يكون عائداً الى حساسية خاصة أو الى اجهاده في العمل . ولكن أياً كان سببه ، فالطب عجز عن علاجه .»

أرادت كارولين أن تذهب اليه ولكن العمة رينا منعتها قائلة :

«سيغضبه ذلك فهو يفضل أن يبقى وحيداً الى ان يزول الالم.»

اتجهت كارولين الى غرفتها وبدأت تخلع ملابسها. لم تسمع صوتاً صادراً من غرفة دومنيكو ، فتمنّت أن يكون قد استسلم للنوم . وسارت على أصابع قدميها حتى الباب الذي يفصل غرفتيها واسترقت السمع لكن كانت الغرفة هادئة تماماً . نظرت الى الباب

وتمنت لو تفتحه ، ولكنها تذكرت كلمات العمة رينا فسحبت يدها.

كانت تعلم أن في وسعها التخفيف من آلامه ، فقد كان أبوها يقول إنه لولا وقوفها الى جانبه عند اشتداد الألم لما توانى عن الانتحار تخلصاً من الألم . لكن الصلة بينها وبين أبيها كانت قوية . أما دومنيكو فلن يسمح لها بان تراه وهو في هذا الوضع الذي يبدو فيه ضعيفاً ، متخاذلاً !

وهكذا انسحبت عائدة الى غرفتها !

٨ ـ الخطة !

مرّت ساعات منذ ان اتخذت كارولين قرارها . جلست في فراشها تحدّق في السقف الزخرفي دون أن ترى شيئاً . ولم تستطع أن تستسلم للنوم بسبب تفكيرها في الالم الذي يعاني منه دومنيكو في الغرفة المجاورة .

وسمعت جسماً يرتطم بالأرض في الغرفة المجاورة فنهضت من فراشها لعلّها تسمع ما يدلها على أنه مازال مستيقظا. وأخذ قلبها يخفق بسرعة عندما وثبت من فراشها وذهبت الى الباب الذي يفصل بينهما . لكن الصمت كان سائداً . فلم تحتمل الانتظار وارتدت ثوباً ثم عادت الى الباب وأدارت المقبض .

كانت الغرفة مظلمة تغطي الستائر نوافذها لتحجب أكبر قدر ممكن من الضوء. خطت الى الأمام لتسأله عما اذا كان يريد مزيداً من الماء. وشهقت اشفاقاً عليه عندما فتح عينيه وهي تتأمله ، فقد عكستا ما في داخله من ألم . كان مقطب الجبين شاحب الوجه . وبدا شعره الأسود الذي اعتاد أن ينسقه بدقة أشعث رطباً بعد أن مرّ بأصابعه

خلاله محاولا التخفيف من ألمه . أما أغطية الفراش فقد تناثرت هنا وهناك .

وحاول أن يمزج صوته بنبرة آمرة ولكن صوته عكس ما في عينيه من ألم فقال لها في ضعف :

«اذهبي ودعيني وحدي .»

تحركت كارولين تجاه الباب قائلة :

«سأذهب الى الطابق الاسفل يادومنيكو وسأعود .»

وعادت بعد دقائق تحمل إناء فيه ماء ومكعبات من الثلج وضعته الى جانب الفراش ووضعت فيه منشفة نظيفة . وبرفق أعادت رأسه الى الوسادة عندما حاول الجلوس ليرفع صوته محتجاً، واضطر الى الاستسلام أمام إصرارها.

لم تحاول ترتيب الفراش لأن أي حركة تسبب ألما . عصرت المنشفة ووضعتها على جبينه المقطب . فتنهد وجذب نفساً عميقاً وقال :

«إني اشعر براحة الآن يا كارولين .»

وفي صبر أعانته ، فكانت تضع المنشفة على جبينه حتى اذا صارت دافئة استبدلت بها غيرها. وأغمض جفنيه دون ان ينام وكانت كلّما رفعت الكمادات الباردة لتغيرها يمسك بيدها ليبقيها أطول مدة ممكنة.

جلست على حافة الفراش وتركت المنشفة مكانها ثم بدأت تدلك جانب رقبته التي انقبضت عضلاتها نتيجة للتوتر الناشيء عن الألم . وبدأ يسترخي تدريجياً وأخذ تنفسه يزداد عمقاً واستغرق في النوم دون

ألم . واستمرت تدلكه حتى تعبت يداها. فتوقفت عن التدليك لحظة لتتأكد من نومه.

وبينما هي تنتظر تمتم ببضع كلمات ثم تحرك وأحاط خصرها بذراعه. ولم تواتها الجرأة على التحرك خشية أن توقظه وتعيد اليه ما سكن من آلامه ، فجلست في هدوء تنتظر حركته الثانية لتهرب.

إلاّ أن دومنيكو كان مستغرقاً في نومه . وبدأت تشعر بثقل ذراعه حول خصرها النحيل وبدأت التقلصات تخدّر أصابع قدميها وأخذت تحركها لتعيد جريان الدم الى قدميها وحاولت أن تتخلص من ذراعه لكنه حرك رأسه وتمتم بكلام غير مفهوم . ولم تجازف بالحركة الثانية فرفعت ساقيها الى الفراش وعندما استلقت على وجهها أخذت التقلصات تختفي فأراحت رأسها على الوسادة . وشعرت بزفرات دومنيكو على خدها واحتقن قلبها بالدم وهي تنظر اليه . كم يكره أن تراه وهو واهن كما هي حاله الآن.

عندما بدأت خيوط الشمس الأولى تتسلل عبر الستائر الى الفراش تحركت في هدوء وانسلّت الى غرفتها. وما أن وضعت رأسها على الوسادة حتى استغرقت في نوم عميق .

واستيقظت بعد ساعات على خشخشة صينية الفطور ودهشت وهي ترى أدلينا تتقدم نحو فراشها مبتسمة قائلة:

«صباح الخير ياسيدتي . هل نعمت بنوم هادىء؟»

«لماذا أحضرت فطوري الى هنا يا أدلينا ؟ تعرفين انني دائما أتناوله في

غرفة الطعام . كم الساعة الآن ؟»

«العاشرة يا سيدتي . وقد أصرّ السيد فيكاري على ألا نوقظك باكراً وأن تتناولي فطورك في الفراش .»

احمر وجه كارولين وقالت :

«السيد فيكاري هل هو أحسن حالا ؟»

«استيقظ باكراً وذهب الى العمل قبل الثامنة وكان يصفر طوال الوقت قبل خروجه . أحسن حالا ؟ نعم لا بد أنه كذلك !»

كانت عينا أدلينا تتلألآن في سعادة وهي تجيب عن أسئلة كارولين التي ازداد وجهها احمراراً وهي في دهشة مما تعرفه الخادمة الوفية العجوز عن سيدها.

واستمتعت بفطورها الى أبعد حد ، ولما فرغت منه أخذت دشا وارتدت ثوباً لونه زاه كضوء الشمس وذهبت الى الشرفة لتجلس مع العمة رينا . وتساءلت عن مدى ما تعرفه العمة عما حدث الليلة السابقة فشعرت بالخجل وهي تقترب من مقعدها.

ولكن لم يكن هناك داع لقلقها اذ أن عيني السيدة العجوز كانتا صريحتين وجاءت كلماتها الأولى لتبدّد خجل كارولين .

«سيسعدك أن تعرفي أن الصداع النصفي زايل دومنيكو يا عزيزتي . ألم أقل لك إنه سيكون في خير هذا الصباح ؟»

«هل رأيته يا عمتي ؟»

«لا ولكن أدلينا أخبرتني بأنه استيقظ باكراً وكان يغني وهو يستحم

فلا بد أنه كان على مايرام.»

وأضافت :

«لم يسبق لي أن رأيت دومنيكو وهو يغني بعد نوبة من نوباته . لعلَّ النوبة لم تكن شديدة هذه المرة . نعم لا بد أن هذا هو السبب .»

وابتسمت كارولين ابتسامة خفية وقالت لنفسها : اذا كانت تلك النوبة نوبة خفيفة ، فلتترفق السماء بدومنيكو المسكين عندما تنتابه نوبة قوية !

ومرّ اليوم في بطء وهي تنتظر عودته بفارغ صبر . وأمضت وقتها تلهو مع فيتو كما قضت بعض الوقت في المطبخ مع أدلينا التي كانت تحب أن يشاهدها أحد وهي تعمل . وكانت على استعداد لأن تقص على كارولين ما كان يفعله دومنيكو وفيتو في صباهما . وكانت كارولين من ناحيتها تنصت باهتمام ، اذ راق لها أن تعرف كل شيء عن دومنيكو وبوجه خاص كم كان عدد الفتيات اللواتي أحضرهن الى المنزل قبل زواجه . كانت أدلينا منجماً من المعلومات في هذا الصدد وبدأت كارولين ترسم لدومنيكو صورة لا تمتّ بصلة الى ذلك الرجل المتجهم الوجه ، بل تشبه صورة دومنيكو الذي عرفته لساعات قليلة في باريس ، وساءها أن تدرك أنه لم يتحول الى الأسوأ إلاّ بعد أن قابلها. ولكن لعلها تستطيع بعد الليلة أن تعلن الهدنة . لعله يعود من عمله ويطلب منها أن ترتدي أفضل ملابسها ليريها جانباً من الحياة الليليه في روما المدينة الخالدة ! كم كان يحلو لها أن تكتشفها.

اهتمّت بارتداء الثوب نفسه الذي ارتدته في الليلة السابقة دون أن يراه وسمعت كارولين صوت العمة رينا وهي تتحدث الى أدلينا قبل أن تنزل الطابق الارضي وأحست بقلبها يهبط . واحتقنت الدموع في عينيها وابتلعت ريقها بصعوبة ، منذ الليلة السابقة وهي تنتظر عودته ليأخذها الى الخارج . ولن تبالي حتى ولو أراد أن يعاملها ببرود ويبتعد عنها. ستصارحه بانها لم تعد تطيق الوحدة وستنتظر طوال الليل اذا دعا الأمر، ثم تخبره بأنها لا ترغب فى البقاء سجينة أكثر من ذلك.

كانت ترجو أن تصلها أخبار عن دورندا حتى اذا تمكنت من الاتصال بها رحلت من روما الى الأبد. ولكن ذلك لن يكون قبل أن تختزن لنفسها بعض الذكريات عن المدينة التى يعيش فيها دومنيكو. كانت في حاجة ماسة الى ما يذكرها به عندما تتركه الى الأبد، بعض الذكريات السعيدة التي تعيش عليها عندما تصبح حياتها مجرد فراغ.

كانت العمة رينا قد ذهبت لفراشها وكانت كارولين تستمع الى الموسيقى عندما سمعته يدير المفتاح في الباب . هزّت نفسها لتنفض عنها ما استولى عليها من نعاس ثم نهضت .

وبدت خطوات دومنيكو تتجه الى الطابق الاول فأسرعت للحاق به قبل أن يغيب في غرفته وعندما وصلت الى الباب كان قد صعد الى منتصف الدرج والتفت مندهشاً حينما سمعها تناديه باسمه :

«دومنيكو !»

«ماذا تفعلين في هذه الساعة المتأخرة ؟»

ترددت للحظات ثم استجمعت شجاعتها وقالت :

«كنت أنتظرك يا دومنيكو فانني أريد التحدث اليك .»

واستوقف نظره ثوبها الذي بدت فيه وكأنها طفلة صغيرة جميلة وبدا الغضب في صوته وهو يبتعد قائلا :

«ألا يمكن أن نؤجل الحديث الى الصباح فأنا متعب .»

«لا يادومنيكو أريد التحدث اليك الآن .»

فهز كتفيه واستدار ليتبعها الى غرفة الاستقبال . وجلست هي في الأريكة بينما سار هو الى المدفأة ووقف نافد الصبر مترقباً ما تقوله .

خانتها كل العبارات والكلمات التي استعدت لقولها وأخذت تبحث في انفعال عن مقدمة تبدأ بها الكلام . فوفر عليه المشقة عندما قال لها وهو يبحث عن علبة السكائر في جيبه :

«قبل أن أنسى ، أحب أن أشكرك على رفقتك معي الليلة الماضية.»

حاولت ثانية أن تفاتحه في موضوع سجنها في المنزل ثم تنفست الصعداء عندما تذكرت أنها لم تشكره بعد على الملابس التي اشتراها وفي لهفتها تلعثمت وهي تقول :

«أريد أن أشكرك على الملابس التي اشتريتها ، وصلت أمس وانتظرتك في المساء لأشكرك ولكنك كنت متعباً فكان عليّ أن انتظر الى اليوم . انها رائعة يا دومنيكو . لم أصدق عينيّ عندما فتحت الصناديق انني عاجزة حقاً عن شكرك .»

اخمدت حماستها تلك النظرة الساخرة التي بدت على وجهه أثناء تدفقها في الكلام . ظلت تحلم بامكان قيام صداقة بينهما في الفترة القصيرة التي تعتزم بقاءها في المنزل لكن نظرته دلت صراحة على أن معاملته لها لم تتغير .

«أهذا كل ما تريدين قوله ؟»

سحق سيكارته وكأنه أراد أن ينهي الموقف وسار في اتجاه الباب وكأن الحديث انتهى بالنسبة اليه .

«لا يا دومنيكو انتظر !»

فاستدار ورفع أحد حاجبيه في استفهام . فتلعثمت وهي تستطرد قائلة:

«أرجوك يادومنيكو ، أريد أن اخرج أحيانا.لا»

واحتفع صوتها في سخط قائلة :

«هل أدركت أنني لم أخرج من المنزل أبداً منذ وصولنا؟»

«ها نحن وصلنا الى جوهر الموضوع ! لقد سئمت الوحدة ولعلك تشتاقين الى ما يبديه نحوك صديقك الانكليزي السيد غراهام من اهتمام.؟»

«جيفري لماذا أشتاق اليه ؟ انني لا أكاد أعرفه .»

فأجابها غاضباً :

«يبدو أن معرفتك به وصلت الى حدّ مناداته باسمه الأول .»

«طلب مني أن أناديه بجيفري منذ الليلة الأولى وقد اعتدت على ذلك

ربما لأن كلينا مغترب عن وطنه .»

ثم قالت واثقة :

«أو ربما لأنه لينّ العريكة . في أي حال لا شيء بيننا وأؤكد لك ذلك .»

«لست في حاجة لتأكيداتك. وأنا كفيل بألاّ تتطوّر صداقتك مع هذا الرجل . إن سلوكه مشين ، وهو لا يؤتمن على امرأة . وفي المستقبل لن يجد ترحيباً في هذا المنزل وقد أعطيت الأوامر للخدم لمنعه من الدخول اذا ما حضر .»

نظرت اليه ساخطة وهي تقول :

«كيف تفعل هذا يا دومنيكو ؟ ماذا فعل جيفري ليستحق معاملة كهذه؟ كان دائماً سيداً مهذباً . ولم يفعل ما يستدعي صدّه. أما عن سمعته فلعليّ أذكرك بأن ابنة عمك هي التي قدمته اليّ . يبدو أنك لا تمانع في ان تراه وتجتمع به ؟»

نظر دومنيكو اليها في تأمل اذ كانت غاضبة من أجل جيفري ، وأخرج سيكارة أخرى وأشعلها قبل أن يرد عليها :

«كنديدا ليست مسؤولة أمام أحد لكنك زوجتي وسلوكك ينعكس عليّ ، فاذا كنت عاجزة عن التصرف بحذر فيجب عليّ بوصفي زوجك أن أحدّ من نشاطك .»

وبدت الحيرة على وجهها واضحة وهي تتساءل عمّا يعنيه بالملاحظة الأخيرة التي أبداها.

«ومتى تصرفت بغير حذر ؟ هل لك أن تشرح لي ما تعنيه ؟»

وبدأت الهواجس تنتابها فهي لم تكن تتوقع أن يتطرق الحديث الى هذا الموضوع . قررت أن تقدم اليه غصن الزيتون طالبة منه الهدنة بطريق غير مباشر وتخفيفاً من حدّة التوتر بينهما . ولكنه كان كعادته عنيداً وشعرت وهي تتأمل وجهه المتجهم بأنه لن يتراجع . وأخذت تنتظر منه ايضاحاً لكلامه دون أن يبدو منه أي استعداد لذلك . كانت تدق الأرض بقدمها في نفاد صبر ، وكانت لهجتها تنمّ عن كبرياء وتعال .

ويبدو أنه أعجب بها وهي تدق الأرض بقدمها وتخاطبه في استعلاء. فابتسم ، أو على الأقل انفرجت شفتاه قليلا ، أما عيناه السوداوان فقد زايلهما المرح . قال :

«هل تنكرين أن ما قمت به من استعراض مع السيد غراهام في الحفلة كان جريئاً ؟»

«الاستعراض الذى قمت به ؟ ماذا تعني ؟ لا يمكن أن تكون جاداً يا دومنيكو . لقد رقصنا ولم يكن هناك اي استعراض .»

ثم خانتها عباراتها وضحكت ضحكة رنانة للوصف الذي أطلقه على تصرّف لا يعدو أن يكون رقصة ممتعة .

لكن هذا الكلام لم يعجب دومنيكو ، وبعد لحظات اختفت ضحكاتها وحلّ الغضب مكانها . وقالت في هدوء :

«هل تعني ما تقول من أنني تصرفت باستهتار يا دومنيكو ؟»

واكتفى بأن ألقى بعقب سيكارته في المدفأة .ولم يهتم بأن ينظر

اليها وازداد غضبها لأن صمته أكدّ لها صدق حدسها . كان يظن بأنها لا تستطيع الثورة لكرامتها ولكن اتهامه لها دفعها الى الانتقام .

«زوجة قيصر يجب أن تكون فوق كل الشبهات . أهذا ما تريده يا دومنيكو ؟ أما قيصر نفسه فلا بأس اذا ما تخلّف عن القيام بواجباته ، بينما تبقى زوجته بعيدة عن اي اتهام !»

«ما معنى ذلك بالضبط ؟»

«يعني انني ربما كنت مذنبة لاستمتاعي برقصة مع رفيق ممتاز إلاّ انني لم أفقد صوابي بين ذراعيه كما فعلت أنت مع كنديدا ! ولعلك لم تلاحظ ان هناك متفرجين في هذه المناسبة . أولعل سحرها هو الذي جعلك لا تبالي .»

واستطاعت بكلماتها أن تنال منه لأن لونه بدأ يتغير واستدار ليواجهها وعلى شفتيه المرتجفتين سيل من الكلمات الغاضبة ، ثم تماسك بعد جهد كبير وابتلع ما كان يوشك أن يقوله . وبذل جهداً ملحوظاً لاستعادة رباطة جأشه وبدا من عباراته أنه قرر تجاهل اتهاماتها واعتبارها كأن لم تكن .

«ستبقين في هذا المنزل حتى أسمح لك بمغادرته . هذا جزء من المخطط الذى وضعته لكي تتعلمي كيف يتصرف القوم النبلاء الذين يعيشون في شرف وتبقى تحركاتهم فوق الشبهات .»

وتجاهل شهقة الفزع التى بدرت منها واستطرد :

«لست أجد لك معلّما أفضل من عمتي ، وأتمنى أن تدركي من العيش

معها خطأ تصرفاتك ، وربما انطبعت فيك بعض صفاتها. ومتى تأكدت من انك تستطيعين أن تحتليّ مكانك في المجتمع دون أن تجلبي العار على الاسم الذي تحملينه ، فعندئذ أسمح لك بأن تأخذي مكانك الى جانبي تستقبلين الضيوف وتتصرفين كما ينبغي على الزوجة أن تفعل . وستكونين خاضعة للتجربة فاذا تعلمت الدرس سريعاً كان اطلاق سراحك أقرب ممّا لو حاولت المقاومة .»

استمعت كارولين الى هذا القرار الفظ في دهشة . وعندما انتهى ظلت جالسة في هدوء عاجزة عن الاهتداء الى الكلمات المناسبة . فقد أخرستها الصدمة واستبدّ بها الغضب . أما دومنيكو فقد تأملها في عدم مبالاة ثم انفجرت قائلة :

«أيها المتزمت المتعجرف ! كيف تجرؤ على مخاطبتي بهذه الطريقة كيف تجرؤ على أن تفكر فيّ بهذه الطريقة ؟ لن أغفر لك هذا الموقف أبدا !»

وهزّ كتفيه في عدم مبالاة واستدار قائلا :

«ليست عندي رغبة في مناقشتك . ولكن ثقي بانك لن تغادري هذا المنزل إلاّ بعد ما تصبحين ما اريدك ان تكوني .»

«هل تعرف العمة رينا هذه الخطة الشيطانية التي وضعتها ؟»

وانتظرت رده في لهفة ، فقد شعرت بأن الحياة لا تطاق اذا كان لدى العمة رينا هذا الرأي الوضيع عنها. كانت تحب السيدة العجوز وكانت تشعر بأنها تبادلها الحب نفسه وأرادت أن تعرف ما اذا كانت شريكة في هذه الخطة التي يراد بها إذلالها. وشعرت بارتياح عندما رد

عليها قائلا :

« لا بالطبع انها تحبك الى درجة انها سدّت أذنيها عن كل ما يقال ضدك ولا رغبة لي في ازعاجها .»

واضاف :

«لا بد انها تعرف شيئاً لأنها ليست حمقاء . وقد دارت بيننا لحظات عصبية اخيراً بسبب ما سمته باهمالي لك .»

«هل تظن أنني سأدعك تملي عليّ ارادتك بهذه الطريقة يادومنيكو ؟ اعدك بأنني سأقاومك حتى النهاية .»

وفي غضب واستطردت :

«هل تظن اننا في روما العتيقة وانك قيصر وانني جاريتك ؟ لا بدّ انك مجنون !»

ثم جمعت أطراف ثوبها وأسرعت من غرفة الاستقبال الى السلم دون أن تنظر اليه .

وخيل اليها أنها سمعت ضحكة ساخرة رافقتها الى أن أغلقت الباب وراءها.

٩ ـ المفاجأة

ارتجفت أصابع كارولين وهي تدير قرص التليفون . لقد انتصف اليوم وخلا المنزل الا منها ومن الخدم أما العمة رينا فقد ذهبت ومعها الطفل فيتو لتزور بعض صديقاتها ولا يتوقع أحد عودتها الا في ساعة متأخرة من بعد الظهر وكانت كارولين مدعوة أيضاً ولكنها رفضت الدعوة اذ كان لديها خطط أخرى تريد تنفيذها.

«أهذا أنت يا جيفري ؟ أنا كارولين .»

«كارولين يا عزيزتي ! كم هو جميل منك أن تحدثيني تليفونياً.»

«هل أنت مرتبط اليوم بشيء معين ؟»

«لا شيء . هل تمضين اليوم معي ؟»

«اذا لم يكن لديك مانع .»

«ارتدي ملابسك يا عزيزتي . سأكون عندك بعد عشر دقائق.»

أسرعت الى غرفتها واختارت ثوبها الأخضر وحذاءها الأبيض وحقيبة يد ملائمة . وبدت جميلة وفاتنة عندما فتحت الباب لجيفري . وهي لم تنس تعليمات دومنيكو بعدم السماح له بالدخول اذا حضر

ولهذا أسرعت في اتمام زينتها لتفتح له الباب بنفسها عند وصوله .

تذكرت نبرة دومنيكو العنيفة وهو يملي عليها شروطه . لقد ازداد اصرارها حتى أنها قررت في النهاية الاسراع الى التليفون قبل أن تضطر الى التراجع .

قادها الى سيارته وانطلق بها في انحاء روما . كانت هي المرة الاولى التي ترى فيها روما على حقيقتها.

ولسوء الحظ أن رأي جيفري في الأماكن التى تستحق المشاهدة يختلف تماماً عن رأيها. فلم يكن يهمه أبدا أن سبعة وعشرين قرناً قد مضت على بناء أم المدن ، فانطلقت سيارته وهي تمر بسرعة أمام الصروح المشيدة والنافورات الملونة والكنائس الفخمة وصالات عرض الصور الفنية وأنزلها من السيارة أمام مطعم كستلو دي سيزاري أي قلعة القيصر .

والتفتت اليه كارولين عابسة الوجه وقد خاب رجاؤها فيه وهو يدفعها الى داخل المطعم . واعترضت قائلة :

«ولكن يا جيفري ظننت أننا سنرتاد الأماكن التى تستحق المشاهدة . هناك أشياء كثيرة كنت أرغب في رؤيتها مثل الكولوسيوم وحمامات كركلا .»

«لكن يا عزيزتي هذه الأماكن الأثرية لا يغشاها الا السياح . ولا اظنك تريدين الانضمام الى أفواج من الأجانب يثرثرون بلغات مختلفة ويصوبون آلات التصوير في جميع الاتجاهات.» .

«لم لا ؟ انني أجنبية ولا أتكلم الايطالية ولن أحسّ بغربة وأنا وسط هؤلاء السياح . أنت لا تعلم كم أتوق الى مشاهدة كل عجائب روما والآن وأنا في قلب المدينة انطلقنا بسرعة ثم انحرفنا في النهاية الى داخل مطعم.»

وضع يده تحت ذراعها ودفعها برفق عبر باب المطعم قائلا :

«اعدك بأن اصطحبك غدا في جولة سياحية اذا وافقت الآن على دخول المطعم سنقابل بعض الأصدقاء.»

فوافقت على عرضه وأجابها بسرعة أنه عند وعده .

وبعد فترة قصيرة تدفقت الدعوات عليها لاستضافتها لكنها راوغت المضيفين بحجة انه يجب عليها أولا أن تراجع دومنيكو . ورفضت أن تترك نفسها تفكر في رد فعل دومنيكو عندما يكتشف أنها عصت أوامره . كان كافياً أن تعيش وتمتع نفسها.

وذهلت عندما أخبرها جيفري بأن الوقت حان للعودة ولكن قبل أن يسمح لها بالانصراف صمم صديقان لجيفري على أن يحصلا على وعد من كارولين بحضور حفلة للملابس التنكرية يقيمانها الليلة .

في السيارة تذكرت أنه ليس لديها ثوب تنكري ترتديه في الحفلة وقالت :

«تذكرت الآن فقط ! انني لا املك ثوباً تنكرياً.»

«أتركي الأمر لي سأستأجر لك ثوباً مناسباً بمجرد أن أوصلك الى الدار.»

«ولكن من أين لك أن تعرف مقاسي ؟.»

نظر اليها في مكر ليحدد مقاسها ثم أطلق ضحكة وهو يلحظ ارتباكها. وطلب اليها ألا تقلق لأنه سيختار ثوباً على مقاسها وسيكلف الشركة التى تؤجر الثياب أرساله الى منزلها.

وبعد أن وصلت العمة رينا الى المنزل بوقت قصير أحضرت الطفل وسلمته لأدلينا ليستحم ويتناول الطعام قبل أن ينام . وما كادت تفعل حتى دق التليفون فرفعته العمة لترد وسمعتها كارولين تقول :

«حسنا يا دومنيكو ، اذا كان من الضروري أن تفعل ذلك فافعله . ولكنى هيأت نفسي لان أتناول العشاء في الخارج هذا المساء وهذا يعني اما أن تصحبني كارولين فينتابها الضجر من الاستماع لكثير من الذكريات عن صديقاتي الحميات واما أن تبقى لتتناول العشاء بمفردها . اني أعتقد بأن معاملتك لها سيئه .»

وأغلقت التليفون بعنف تاركة دومنيكو على الخط مشمئزة من تصرفه . والتفتت الى كارولين قائلة :

«هل سمعت ؟.»

«نعم ولكن أرجو ألا تقلقي من أجلي. اني مدعوة الى حفلة هذا المساء فيمكنك أن تخرجي وتمتعي نفسك .»

«ان ذلك رائع يا عزيزتي . ولكن من سيكون رفيقك ؟ ان دومنيكو مرتبط برفيق عمل كل السهرة.»

«سيصطحبني السيد غراهام اتعرفينه ؟ انه صديق كنديدا.»

وعبرت وجه العمة رينا سحابة عند ذكر اسم جيفري وظنت كارولين بأنها ستسمع شيئاً من الاعتراض على رفيقها . الا أن العمة ابتسمت وقالت:

«انه شخص ساحر . للأسف ان دومنيكو لن يكون في الحفلة . لن يتغير الا اذا شعر بالغيرة الحقيقية.»

أسرعت اليها كارولين وقبلتها.

«انك حقاً عجوز ماكره يا عمتي . وانا أحبك من أجل ذلك.

وبادلتها السيدة العجوز القبلة ودفعتها الى أعلى السلم لتستعد للحفلة . وفي طريقها الى الطابق الاعلى تقابلت مع أدلينا أثناء نزولها وطلبت اليها نقل الصندوق الذي كانت تنتظر وصوله الى غرفة نومها.

استمتعت كارولين بحمام طويل وعندما عادت الى غرفة نومها كانت سعيدة. ورأت صندوقاً كبيراً فلما فتحته وقفت مشدوهة اذ اشتمل على بضعة خيوط من النايلون وزى على الطراز البكيني مرصع بالترتر وله حمالتان للكتفين مرصعتان بالجواهر وخمار مع مجموعة كبيرة من الحلى الزجاجى البراق وحاولت ارتداءه وهي ممتعضة. ووقفت أمام المرآة وقالت:

«انه زي همجي لا بد أن يكون جيفرى مصاباً بجنون . لا يمكنني ارتداء هذا الزي .؟»

وقفزت عندما رن التليفون ومضت نحوه لترد عليه فدوى صوت

دومنيكو يسأل :

«العمة رينا ؟»

«لا، أنا كارولين . عمتك خرجت .»

«ليس في الأمر أهمية . سأتصل بها في ما بعد . هل أنت وحدك؟

«نعم .»

وانتظرت متمنية أن يقول لها إنه سيعود الى المنزل حتى لا تبقى وحدها في المساء الا أنها وهي تنتظر ذلك سمعت صوت كنديدا تطلب منه ان ينهي حديثه ، فأثار كارولين ما بدا في صوتها مما يدل على انها متمكنة منه حاول دومنيكو أن يضيف شيئا الا أنها وضعت سماعة التليفون واتجهت الى منضدة الزينة.

وعندما فعلت ذلك لم تنظر مرة ثانية الى المرآة اذ أزعجها الثوب الذي كانت ترتديه ولم تشأ أن يعوقها أي شيء عن تنفيذ خطتها. ووضعت المعطف عليها وبمجرد أن رن جرس الباب نزلت الدرج وخرجت .

«هل كان الثوب مناسباً يا كارولين ؟»

«طبعاً يا جيفري . انه ممتاز .»

«انك متحررة قليلا يا كارولين . لو كنت رفضت ارتداء هذا الثوب لما قلّل ذلك من قيمتك في عيني ليس لأنه زي غير ملائم وانما لأن بعض الفتيات يفتقرن الى الثقة بالنفس ولا يرتدينه . بالاضافة الى انني قمت بعمل جبار حتى أجعلك تبدين هكذا.»

عندما وصلا الى المنزل الذي تقام فيه الحفلة وجداه متألقا بالأضواء فدق لب كارولين بسرعة اذ توقعت مفاجآت سعيدة عندما سمعت صوت الموسيقى والضحك.

سارا من خلال الباب الواسع المفتوح وحياها مضيفاها اللذان كانا يرتديان ملابس تمثل أنطونيو وكليوباترا. وعندما نظرت كارولين حولها شعرت بان الخجل زايلها، فبالمقارنة بالأزياء التي رأتها في الحفل كان ثوبها أكثرها احتشاماً.

واندفع حشد سعيد عاصف بكارولين ولم تر جيفري الا قليلا، اذ كان زيها الغريب وعيناها اللامعتان ووجهها المتورد مقصد ذلك الحشد من الحاضرين . وللمرة الاولى شعرت بأنها حرة تماماً. بعد فترة جاء جيفري وقد بدت عليه علامات السخط لأنها كانت تبدّل الرجال في كل رقصة . فاتخذ طريقه وسط المعجبين وقد ارتسمت على وجهه نظرة هادفة وقال :

«هذا كثير . فقد أحضرت الى الحفلة أكثر نساء روما جاذبية ومع ذلك لم أتمكن من الاقتراب منها. انصرفوا عنها وليبحث كل منكم عن رفيقته. الرقصةالتالية ستكون لي.»

رقصت كارولين مع جيفري . وأثناء دورانها في حلبة الرقص اصطكت الصنجات النحاسية في صوت مرتفع وتوقفت الموسيقى فجأة ثم سمع صوت قائد الفرقة الموسيقية:

«سيداتي سادتي الرجاء الانتباه.»

فصمت الجميع وهم في انتظار ما سيعلنه.

«الرقصة القادمة ستكون رقصة موسيقى الغرامات .»

هللت المجموعة في سرور وقام جيفري بشرح تلك الرقصة لكارولين الحائرة ومؤداها أن يسير رجل في اتجاهات معينة بين الراقصين وعند توقف الموسيقى يطلب من الراقصين اللذين على يمينه الاجابة عن سؤال فاذا عجزا عن الاجابة طلب منهما تأدية غرامة.

وبدأت الفرقة الموسيقية تعزف وكان الراقصون الثائرون يحاولون تفادي الرجل الذى كان يخطو بخطوات كثيرة ناحية اليمين وخطوات أخرى ناحية اليسار .

وكان كارولين وجيفري غارقين في متعة الرقص حتى نسيا الحذر فكانا الراقصين اللذين استحقا الغرامة. وكان السؤال الموجه اليهما أصعب من أن يجيب عنه أستاذ في الجامعة . حاولا الاجابة وقد أخذتهما رهبة المفاجأة، لكنهما فشلا.

وسر أصدقاء جيفري عندما طلب منه أن يرقص الرقصة المزمارية وقد أداها بتقليد متقن . وكانت غرامة كارولين أن ترقص رقصة تتناسب مع الزي الذي كانت ترتديه . فاعترضت قائلة:

«لا استطيع .»

الا أن المجموعة صممت ودفعها جيفري الى وسط الحلبة . وأخذوا يصرخون تشجيعاً لها ويصفرون بأصوات تشبه عواء الذئاب وهم يترقبون الرقصة . وبدأت الفرقة تعزف أو بالأحرى آلات النفخ .

وكان الجو يذكر بحياة جواري في القصور في أحقاب التاريخ القديمة.

وبهزة من كتفيها ثبتت كارولين الخمار على وجهها وخطت داخل دائرة المتفرجين الضاحكين وبدأت تتمايل مع الموسيقى التى تكاد تؤثر في الحاضرين تأثير التنويم المغناطيسي . وكانت وهي ترقص تتذكر صوت مدرسة الرقص القديمة يدوي في أذنها قائلة لها:

«استمعي الى الموسيقى . انسي نفسك في الايقاع الموسيقى واجعلي جسمك يحكي القصة التى تريد الموسيقى أن تعبر عنها. استرخي يا فتاتي.»

وجرفها سحر الموسيقى . ولما توقف العزف فجأة استوقفت انتباهها عينان سوداوان تنظران اليها في احتقار . فوقفت فجأة وكأنها تسمرت . ولم تقو على النظر في عينى دومنيكو الغاضبتين الذى سارع الى الاختفاء عن الانظار بينما احتشد المهنئون من حولها، واندمجت في وسطهم شاكرة. وحاولت أن تخفي شعور الرعب الذي استولى عليها عندما علمت بوجود دومنيكو وحاولت أن تختفي في الزحام لكن لم يدهشها أن وجدت يد كالفولاذ تقبض على مرفقها وتدفعها نحو الباب في عنف . ولمحت الذعر في وجه جيفري عندما تبين أن دومنيكو هو رفيقها، ولكنها لم تجد فرصة للتحدث معه.

رافقها دومنيكو بتجهم الى سيارته وانطلق بها سريعاً . كان الطريق طويلا وكانت واثقة من أنه ليس الطريق الى المنزل . وبدأ الذعر يتسرب اليها.

وفجأة توقف الى جانب الطريق وأخذ يتفحصها ولم يترك جزءاً من زيها الذي بدا الآن زياً رخيصاً مبهرجاً فخفضت عينيها وتوردت وجنتاها ألماً عندما شعرت باحتقاره لها.

«هل تفضلين بان تشرحي كيف نسيت نفسك وجعلتني اضحوكة أمام أصدقائي وموضوع اشفاق من جانب عائلتي ؟ لماذا خالفت تعلياتي الواضحة التي نهيتك فيها عن مقابلة جيفري؟»

اغرورقت عيناها بالدموع فالتفت اليها قائلا :

«الدموع لن تفيدك الآن يا كارولين فاحتفظي بها لما هو آت . انا واثق من أنك ستحتاجين الى صمام أمان عندما أنهي الأمر معك.»

وسألته مذعورة :

«ماذا تعني ؟»

«أعني أن الوقت قد حان لكي تدفعي دينك يا كارولين ! سآخذ منك شيئاً مقابل العار الذي لحق بي بسببك وسآخذه الليلة.»

واندفعت السيارة صاعدة بين الكروم والفيلات المنعزلة . خطر لها أن تدفع باب السيارة وتقفز منه وانتابتها قشعريرة من الخوف فحاولت أن تتحكم باعصابها وأخذت تؤكد لنفسها بأن دومنيكو هو قبل كل شيء رجل نبيل.

وبدت السيارة تتباطأ ثم توقفت أمام فيلا محاطة بورود وشجيرات. وانتظرت في هدوء ولم تتحرك الا عندما فتح دومنيكو الباب وقادها الى الردهة. وتوترت أعصابها عندما قال لها في اقتضاب:

«ادخلي هنا واجلسي بينما احضر القهوة .»

تبعته الى غرفة مؤثثة تأثيثاً ينم على ذوق سليم . واستقرت راضية في أريكة قرب نافذة كبيرة تطل على الحديقة.

فتح الباب ودخل دومنيكو الغرفة يحمل صينية القهوة ووضعها على منضدة وبدأ يسكبها. وجلس الى جانبها وقدم لها قدحها فانسكب قليل من القهوة على معطفها فبادرت الى نفضها قبل أن يلمسها، وتدفق الدم في وجهها عندما ابتسم ساخرا وقال :

«سنرى الآن اذا كنت قادرة على المقاومة ؟»

كانت عيناه مثبتتين على وجهها تتقدان بضوء غريب فارتبكت وحاولت الوقوف لكنه مد يده ليمنعها فابتعدت عنه بعصبية وانزلق معطفها من فوق كتفيها لكنه أدركها وأمسك بها وجعلها عاجزة عن المقاومة وأخذ يجذبها الى ذراعيه . شعرت بيديه تقبضان على حلقها وانفتحت عيناها في الوقت المناسب لتراه وقد انتزع منها القلادة الزجاجية البراقة التي كانت تتحلى بها .

وبدأت تقاوم والغضب الشديد يستولي عليها، وزايلتها موجة العاطفة التي استيقظت فيها عندما أدركت قصده .

ضاقت حلقة ذراعيه من حولها تمسك بها كأسيرة ، ولم تؤد مقاومتها الا الى اصرار على ابقائها في قبضته . قالت :

«أرجوك يا دومنيكو ألا تفعل .»

«ولم لا أفعل ؟ هل أنا من الحماقة بحيث أسمح لكل رجل آخر بأن

ينعم بك أما أنا فمرفوض دائماً ؟ أنت زوجتي ، هل تتذكرين ؟ هل توقعت حقاً أن أقف مكتوفاً وأنا أراقبك تغازلين أي رجل تميلين اليه دون أن تشعري بوجودي ؟»

«لم أغازل أي شخص يا دومنيكو . ذهبت الليلة الى الحفلة الراقصة مع جيفري لأني شعرت بوحدة رهيبة ولأنك حاولت السيطرة عليّ بالفرمان السخيف الذي أصدرته بأن أكون سجينة البيت . قطعاً لم تتوقع مني أن أحمل هذا القول محمل جد ! فنحن لا نعيش في العصور المظلمة ، ولا بد أنك لم تتوقع مني الامتثال لهذا الطلب السخيف .»

«لا أريد أن أسمع أكثر من ذلك . كنت تعلمين أن ما تفعلينه يغضبني ويمكنك الآن أن تحصدي ثمار هذا الغضب . انك مجموعة من المتناقضات يا كارولين ! منذ اليوم الأول الذى قابلتك فيه وأنا عاجز عن معرفة حقيقة أمرك ، وأي الفتاتين أنت . فمن ناحية ، أرى الأم الصغيرة السعيدة مع طفل يحبها ثم تزعجينني بقولك إنك لم تحبي فيتو وهو ما يوحي بالاعتقاد بأنك امرأة منحلة. وأدهشتني مرة أخرى عندما قلت إنك تقبلين هدايا من الماس من أصدقائك كتأمين ضد الفقر. وأصابني الخزي عندما رقصت كبنات الهوى أمام كل من يعرفني في روما. وأكثر ما يدهشني هو أسلوبك في الفوز بالحظوة لدى عمتي وكنت دائما أقول انها وحدها هى التى ستدرك حقيقتك .»

وفي اللحظة التالية رفعها وحملها الى الأريكة كانت في حاجة شديدة اليه وكان يريد بقوة وللمرة الأولى في حياته ، أن يحظى

بشخص يكون له وحده، شخص لا يشاركه فيه أحد كما شارك فيتو في أمه وكما شارك فيتو زوجته وطفله.

توقفت عن مقاومته واغمضت عينيها.

وربتت على عنقه وهي تبكي وهمست وعيناها مغمضتان :

«فيتو يا حبيبي اني أحبك كثيراً.»

كان دومنيكو ساكتاً تماماً حتى فتحت عينيها . وبدت عليه امارات الحيرة وهو يحاول أن يعرف منها الحقيقة كاملة . وسألها بفتور :

«هل كنت تحبين فيتو ؟»

«نعم ، وأظن أني سأحبه دائما.»

ذعرت لصمته وأفزعها ثباته واغرورقت عيناها والتفتت برأسها لتخفي عنه عينيها. وهنا عرف الحقيقة . رفع يده الى خديها ومسح دموعها برفق . وأبعدت رأسها بعصبية عن ملمسه وصاحت :

«لا تلمسني !»

وسحب يده بسرعة وابتعد عن الأريكة وحدق الى النافذة . وعندما التفتت اليه كان وجهه صارماً.

«تعالي يا كارولين . سآخذك الى المنزل .»

ولم يسألها لماذا كذبت عليه بالنسبة لشعورها نحو فيتو. اعتبر هذا الامر حقيقة واقعة ، وأدرك أنها نطقت بهذه الحقيقة في فورة العاطفة وهي بين ذراعيه مما ذكرها بفيتو باعتباره الرجل الوحيد الذى تحبه

فعلا .

أعانها على الوقوف وأحاط كتفيها بالمعطف وفي أثناء ذلك مستها أصابعه برفق فسرت في جسدها رجفة اعتبرها من آثار رد الفعل المفاجيء ونظر طويلا الى عينيها المعذبتين وتنهد قائلا :

«لا داعي للقلق لن أفرض عليك عاطفتي مادمت لا ترحبين بها. ارجو أن تقبلي اعتذاري لسلوكي في الماضي . ولو كنت أعلم أنك أحببت فيتو الى هذا الحد لما حدث ذلك أبدا . هل تغفرين لي؟.»

لم يعد لديها من الثقة في النفس ما يسمح لها بالكلام وانهارت تماماً. وأحاطها بذراعيه وقادها الى السيارة.

كانت الرحلة الى المنزل سريعة وهادئة . وفي الساعات الأولى من الصباح توقفا أمام منزل العمة رينا . لكن الأضواء كانت مازالت تتألق من النوافذ . وبعد أن ساعدها على الخروج من السيارة صعد سريعاً الى السلم ورن الجرس .

فتح ايمانيويل الباب وعندما رآها على العتبة رفع ذراعيه :

«شكرا لله .»

«ما هذا يا ايمانيويل ؟ هل حدث شيء للعمة رينا ؟»

«انه السيد فيتو جاءنا خبر بأنه حيّ وهو في طريقه الى البيت ! ان السيدة تكاد تطير من الفرح . وقد أرغمناها على النوم لأن الصدمة كانت شديدة على قلبها لكنها سعيدة جداً . كما اننا سعداء جميعا.»

والتفت دومنيكو الى كارولين فرأى وجهها المفعم بالحيوية يشع

بتعبيرات السرور وهي لا تصدق الخبر . وسألها بانزعاج :

«وماذا يكون الأمر بالنسبة الينا يا كارولين ماذا سنفعل الآن؟»

لم ينتظر جوابها لكنه أسرع الى غرفة عمته . وببطء صعدت الى غرفتها وقد أصابها الدوار . لقد صدمها أنها وعت تماماً كل ما قاله ايمانيويل ، وتملكتها فكرة وحيدة هي أن فيتو سيحضر الى البيت وأن عليها أن ترحل قبل وصوله وقبل أن يعرف الجميع أنها كاذبة . كان مروعاً أن تفكر في بقائها لمواجهة حتى دومنيكو عندما يكتشف كذبها.

وبدأت وهي شديدة الانفعال تعدّ حقيبة ملابس صغيرة تحتوي على اللوازم الأساسية لتعود الى انكلترا.

لكنها ستحتاج الى نقود لدفع أجرة سفرها. وحساب البنك الذي فتحه لها دومنيكو لم تمسّه حتى الآن . ثم ان البنوك لا تفتح الا متأخرا وهي لا بد أن تذهب حالا . ولكن كيف ؟

نظرت الى التليفون وتذكرت جيفري . وباندفاع اتصلت به تليفونياً:

«جيفري ؟ أنا كارولين . احتاج الى مساعدتك . أرجوك يا جيفرى هل تساعدني لأصل الى انكلترا ؟»

فأكد لها أنه سيفعل كل ما يستطيع على الفور . ثم سألها :

«هل تريدين أن أخذك الآن ؟»

«نعم، سأكون مستعدة عندما تصل. لا تحدث أى صوت. سأسمع سيارتك واخرج. أشكرك يا جيفري انك صديق حقيقي.»

ارتدت ملابس السفر وألقت نظرة أخيرة على غرفتها وانسلت الى أسفل الدرج .

ظلت أعصابها متوترة حتى سمعت صوت سيارة جيفري تقف فأسرعت الى حيث كان ينتظر وبسرعة انطلقت السيارة بها.

قال جيفري :

«لم يكن لدي وقت لأتصل بالمطار يا كارولين . أعتقد أنه من الأفضل العودة الى مسكني لتناول الفطور ثم نتمكن من اجراء بعض الاتصالات عن أول رحلة ممكنة. ماذا تقولين ؟.»

وافقت على اقتراحه وقالت :

«لا أعرف ماذا كنت أفعل بدونك ياجيفري ؟ من الصعب عليّ أن أطلب شيئاً من أحد ولكن لا بد أن أحصل على بعض النقود ثمن بطاقة السفر . أيمكنك أن تقرضني بعضها ؟ سأردها اليك عندما أجد عملاً.»

«ماذا تعنين بقولك الى أن تجدي عملا ؟ أظنك لا تعنين أن زوجك سيسمح لك بالعمل وهو من أغنى رجال روما.؟»

«لن يعرف دومنيكو اني تركته الى الأبد ! لا أتوقع أن أراه ثانية.»

وبعد تناول الفطور قال لها :

«حسناً قصي على العم جيفري كل ما حدث .»

«لديّ الشيء الكثير الذي أرويه الا أنني لا أعرف من أين أبدأ. أليس من الأفضل أن تتصل بالمطار تليفونياً فلعلنا نجد مقعداً خالياً

اليوم. يجب أن أرحل يا جيفري اذ أنني لو بقيت في روما واكتشف دومنيكو انني تركته فسيعثر علي بالتأكيد »

«وهل تعتبرين هذا شيئاً فظيعاً ؟»

«نعم فظيع جداً الى الحد الذي أعتقد أنه ليس في استطاعتي تحمله.»

اتصل بالمطار ثم هز رأسه وقال :

«هناك مكان شاغر على طائرة تقلع في الساعة الثامنة وقد حجزته لك.»

ثم قال لها في حزم :

«الآن هل لك أن تقصّي عليّ معنى كل هذا ؟ امامنا الكثير من الوقت لآخذك الى المطار . يمكنك أن تبدأي الحديث من أوله . هيا انطلقي.»

وبدت مترددة ثم قصت عليه كل ما حدث ابتداء من يوم جنازة أبيها الى أن خرجت معه من المنزل هذا الصباح.

فألقى عليها نظرة رثاء وهو يقول :

«مسكين يا دومنيكو العجوز . لم أعتقد أبدا أنه سيأتي اليوم الذي أشعر فيه بالاسف نحوه . أنت يا كارولين وضعته بين شقي الرحى . تريدين أن تقولى انه بعد زواجك منه مازال يعتقد انك تحبين ابن عمه ؟ يالغبي المسكين !»

«آه، لا تقلْ هذا يا جيفري ! الا تعتقد أنه كان عليّ أن أفعل ما فعلت؟ لم أستطع أن أتركه يأخذ الطفل مني. كان لا بد أن أجعله يعتقد انني دورندا، ثم تعاقبت الأحداث بسرعة وفي النهاية وقعت في شرك من الخداع! والآن ألا ترى أنه يجب على أن أذهب؟»

«ولكن هل أنت واثقة تماماً من أنه سيكون غاضباً كما تعتقدين عندما يكتشف خدعتك ؟ لعل حبه الكبير لك يجعله يتغاضى عن تلك الخدعة . ولماذا لا تكلمينه على الأقل قبل مغادرتك روما ؟ اعطه فرصة الاستماع الى وجهة نظرك في الأمر كله قبل أن يصل فيتو الى المنزل . قولي له الحقيقة أنت بنفسك يا كارولين.»

«لا!لا! لا يمكنني . يجب أن أرحل !»

أخذها الى السيارة وانطلقت بهما . وأخذت تنظر الى معالم روما. وعندما فكرت في السنوات الطويلة التى ستعيشها من غير دومنيكو احتقن قلبها حتى الانفجار.

وصلا الى المطار وبعد أن اشترى جيفري التذكرة ذهبا الى القاعة وشعرت بقلقه عليها فنظرت اليه قائلة :

«لا تنزعج يا جيفري . اني أدرك ما أنا مقدمة عليه . أرجو ألا تقلق من أجلي .»

«لا أستطيع يا عزيزتي . ماذا سيحدث لك عندما تصلين الى انكلترا؟ أين ستقيمين كيف يمكنني أن أبقى على الاتصال بك؟»

«سأكتب لك حالما أتمكن ، وشكرا على كرمك ، لدي ما يكفي من النقود الى أن أصل الى منزل صديقتي .»

«مادمت متأكدة من ذلك فانني سأتركك تذهبين ولكن تذكري يا عزيزتي اذا أحتجت اليّ في أي وقت اخبريني وسأحضر في الحال.»

ثم تركها وذهب الى احد المحلات حيث اشترى لها علبة كبيرة من

الشوكولاته ورزمة من المجلات . ولمح عنواناً في احدى الصحف الانكليزية فأخذها اليه وهو متهجم وقال :

«ترحلين في الوقت المناسب يا كارولين. الصحيفة هنا تقول إنه من المتوقع وصول فيتو اليوم الى هذا المطار وأنه سيحضر مع زوجته. قولي لي ما هو اسم أختك؟ هل هذه هي صورتها المنشورة في الجريدة؟»

اخذت الجريدة منه فرأت وجه دورندا الباسم تحدق في شاب أسمر يبدو بلا شك أنه من عائلة فيكاري . وقد أبرزت العناوين الخبر بشكل مثير بأن رفيقة هذا الايطالي لم تكف عن البحث عن أي خبر عنه وتتبعت كل أثر له حتى نجحت في العثور عليه في مستشفى ارسالية وسط غابة افريقية. وكان يعاني من فقدان الذاكرة وأعراض اخرى . وحولت الصحيفة هذه الواقعة الى قصة مشوقة . وكتبت تفاصيل عن الزواج الذي تم في افريقيا.

اغرورقت عينا كارولين بدموع الفرح وهي تقرأ هذا الخبر . وأكثر ما أفرحها أن طفلها المحبوب سيكون اخيراً في كنف والديه.

بعدما سمعت النداء على رقم رحلتها :

«وداعاً يا عزيزي جيفري . هذه أحسن هدية بمناسبة سفري كان في وسعك تقديمها اليّ . وقد اقتنعت الآن بالرحيل اذ هناك عضوان من أسرتي على الأقل يعيشان في سعادة هما دورندا والطفل . هل تعدني ياجيفري بألا تذكر لدومنيكو أين ذهبت؟»

«اعدك بذلك . ودائماً يا عزيزتي سأظل اذكرك الى الابد .»

١٠ - الحقيقة !

سأل سائق السيارة كارولين بعدما اوقفته :

«الى أين يا آنسة ؟»

قرأت له كارولين عنوان جين . فردّ عليها قائلا :

«سنكون هناك بعد عشر دقائق .»

وعندما توقفت السيارة أمام منزل شبه متعزل توجهت في شيء من التردد الى الباب الأمامي فتحه لها رجل طويل القامة . وللوهلة الأولى تعجبت للطريقة التي استقبلها بها فقد نظر اليها وكأنه لا يعرفها :

«جيم ، انني...»

«كارولين ، لم أعرفك للوهلة الأولى . تفضلي بالدخول ! ونادي جين .

وأسرعت جين من المطبخ وهي في سعادة لا توصف لرؤية كارولين.»

«لم لم تخبرينا بأنك اتية ؟»

«سافرت في عجلة يا جين . أرجو ألا أكون قد أزعجتكما بزيارتي المفاجئة ولكن في وسعي دائما أن أذهب الى فندق .»

« فندق ؟ بالله عليك لا تفعلي هذا ! لقد كنّا في شدة الشوق الى

رؤيتك ، قلت لجيم أمس إنه اذا لم يصلني منك رسالة واضحة فسأذهب الى روما لأطمئن عليك .»

قالت جين بعدما استقرتا في غرفة الاستقبال :

«حسناً يا عزيزتي ، هل تودين التحدث في الأمر ؟»

تركت كارولين مقعدها وجثت على ركبتيها ودفنت وجهها في حضن جين وروت لها القصة كاملة.

وعندما انتهت تناولت جين خديها بين أصابعها ونظرت اليها في دهشة قائلة :

«أتعنين أنك تحبين زوجك ومع ذلك انسحبت ،لقد خاب املي يا كارولين ! كنت اظنك اكثر جرأة .»

«كيف أبقي ؟ انه سيحتقرني !»

وأخفت جين ابتسامة الانتصار عندما تبينت انها استطاعت اثارتها. إلاّ انها لم تستطع كتمانها. ونظرت اليها كارولين في ارتياب وبدأت عيناها تلمعان :

«تعمدت إثارة غضبي .»

«اليس كذلك؟ نعم يا عزيزتي ويجب أن تعترفي بأنك تشعرين بتحسن الآن. ألست على حق.؟»

لم ترد كارولين بل افترت شفتاها عن ابتسامة كدليل على رضاها .

كانت ضحكات توأمي جين تؤلم كارولين لأنها ذكرتها بالطفل فيتو. ورأت رجلا طويل القامة يسير على بعد فكان ذلك كافياً لكي

يبدأ قلبها في الخفقان ولكي تحس بوخز في أعصابها الى أن أدركت أنه لم يكن دومنيكو . لم يلتئم الجرح في قلبها لكنها تعلمت أن تخفيه شيئاً فشيئاً حتى عن جين .

قضت معهم حوالي اربعة أسابيع ولم تشأ أن تطيل الاقامة فابلغت جين بأن الوقت حان لتجد وظيفة وتستقر في منزل خاص. ورجتها جين أن تبقى، لكنها أصرت. وبدأت تخطط وكان أول ما قررته هو أن تتصل بالسيد ولكنز لتخبره بأنّ دورندا لم تعد مفقوده. ولما كانت هذه المرة الأولى التي اتجه ذهنها فيها الى السيد ولكنز منذ عودتها الى انكلترا، فقد تذكرت أنه ما يزال يحتفظ لها بحصيلة بيع منزلها وأثاثها. وشعرت بارتياح عندما تذكرت انها أخبرته بانها ستتصل به عندما تريد منه أن يبعث اليها بالمال، فما أحوجها اليه الآن.

وفي اليوم التالي ذهبت الى البلدة الصغيرة التي فيها مكتب السيد ولكنز وعندما تقدمت لتحيته رمقها بنظرة من وراء نظارته وصدمها بكلماته قائلا :

«هل رأيت زوجك يا سيدتي الصغيرة ؟»

«لا ، هل تعني أنه في انكلترا ؟»

فأجابها مستنكراً:

«بالطبع كان في هذا المكتب منذ ثلاثة أسابيع يسأل عنك. ولم أستطع مساعدته لانني لا اعرف أي أخبار عن مكانك. وترك عنوان الفندق الذي يقيم به وطلب مني أن أتصل به بمجرد أن تصلني أخبار

عنك. ويمكنني أن أضيف الى ذلك انني لم أر رجلا أكثر اصراراً منه، فهو ينوي أن يبحث عنك في كل مكان حتى يهتدي اليك!»

شهقت ومدّت يدها لتمسك بمقعد حتى لا تترنح . فقد اعتقدت أنها لن تضطر الى رؤيته ثانية وان المحامي سيقوم بكل الاجراءات الضرورية لأنهاء زواجها. وتوسلت اليه قائلة :

«يجب ألا تخبره بأنني كنت هنا يا سيد ولكنز . أرجوك لأنني لا أريد أن أراه ثانية .»

وشحب لونها فأجلسها ولكنز وطلب من سكرتيرته أن تأتيها بكوب من الماء.

وعندما ارتشفت الماء وتوقف الدوار طلبت منه مرة أخرى ألا يتصل بدومنيكو . فقال لها محرجاً :

«ولكن أعتقد يا عزيزتي أنه يجب أن تتقابلا وتصلحا ما بينكما . ومع أنني لا أظن أن الأمر سيتطور الى هذا الحد ، ولكن اذا ضاع كل أمل في المصالحة فلا بد أن تتقابلا وتتفاهما على كل شيء .»

«لن أقبل منه مليماً واحداً . وعندما ينتهي زواجنا لن يكون مسؤولا عني ولذلك لا أرى اي داع لاطلاعه على مشاريعي بالنسبة الى المستقبل.»

«كيف ستعيشين ؟ انك غير مدربة على عمل معين وفي الحقيقة يا فتاتي لقد عدت كما كنت بعد موت أبيك الفقير تفتقرين الى الخبرة والمال.»

وهزّ رأسه كما لو كان يائساً من اعادتها الى صوابها . ثم واصل القيام بأعماله بعد أن وعدها كارهاً بألا يخبر دومنيكو اذا ما اتصل به ثانية.

وعندما عادت الى المنزل كانت ترتجف من شدة الانفعال : فبعد أن أسرعت خارجة من مكتب السيد ولكنز، أخذت تنظر الى الخلف خشية ان يكون دومنيكو وراءها . وحاولت أن تخفي صدمتها عن جين وأدهشها انها استطاعت ذلك . فقد بدت جين منشغلة الذهن ، وكان عليها أن تكرر عباراتها لكي تسترعي انتباهها . وأجفلت جين قائلة :

«أسفة يا عزيزتي. ماذا قلت ؟»

وكررت كارولين في صبر :

«قلت إنني رأيت السيد ولكنز ويبدو أن عندي مبلغاً لا بأس به في البنك لهذا ينبغي عليّ أن أبحث عن مكان أقيم فيه.»

وبدا كأن هذه الكلمات قد أخرجت جين من أحلامها لأنها ناشدتها بجد واصرار قائلة:

«الوقت ليس مناسباً . انتظري قليلا .»

«لماذا ياجين ؟ ليس في وسعي أن أبقى هنا الى الأبد . وانا اشكرك لاستضافتك لي طوال هذه المدة . لا أستطيع أن أفرض نفسي عليكما أكثر من ذلك .»

«انتظري بضعة أيام أخرى فقط يا كارولين . أرجوك !»

واحتارت كارولين لكنها قررت أن تستجيب لرغبة صديقتها

فهزت كتفيها وقالت :

«حسنا ياجين ، اذا كنت تصرّين . ولكن أرجو ألا يظن جيم انني باقية هنا الى الابد .»

«لا. لا أظن ذلك .»

قررت كارولين عدم الاشارة الى أن دومنيكو موجود في البلدة أو أنه يبحث عنها . فقد كانت في حاجة الى وقت كاف لتفكر في سبب اصرار ولكنز عليها لتقابل دومنيكو قبل أن يقررا ماذا سيفعلان .

ولم تكن قد اهتدت الى حل عندما طلبت جين منها ان ترعى طفليها في غيابها، اذ أنها دعيت مع زوجها الى حفل يقام في ذلك المساء وقالت ان المضيفة لا تعلم أن لديها ضيفاً. ومما أثار دهشة كارولين ان جين لم تفكر في الاتصال بهذه المضيفة لتسألها ان كان في استطاعتها اصطحاب كارولين معها. وتسبب هذا الاغفال في جرح شعور كارولين اذ أنها بدأت تشعر بحساسية لأنها أطالت مدة اقامتها. وتساءلت عما اذا كانا سيختلقان عذرا ليختلي كل منهما بالآخر لبعض الوقت . ولكنها سرعان ما تخلت عن هذه الفكرة . ولذلك رحبّت بالبقاء مع الطفلين وأصرّت على أن تخرج جين هذا المساء لتصفيف شعرها والتجول بين المحلات وهو أمر كان متعذراً عليها بسبب وجود الطفلين .

وعاد جيم مبكراً مبتهجاً ، وبعد أن استعد للخروج وصف شعوره بأنه شعور شاب يتأهب لأول موعد له مع حبيبته ، فقد مضى وقت

طويل دون أن يستطيعا أن ينعما بحياتهما حتى جاءت كارولين لترعى طفليهما.

أسرعت الى الطابق الاعلى حيث يرقد الطفلان لكي تبدل ملابسها وترتدي بنطلون جينز وقميصاً قصير الأكمام زهري اللون. وبينما كانت تسرّح شعرها سمعت جرس الباب فابتسمت ظناً منها أنها جين التي اعتادت ان تنسى شيئاً كلّما خرجت . ونزلت لتفتح الباب وعلى وجهها ابتسامة عريضة استعداداً لممازحة جين .

«جين ، أنت ...»

ثم توقفت وأمسكت بالباب وقد أحست بأن يداً تعصر قلبها. ثم صاحت في اختناق :

«دومنيكو !»

وقف ينتظر في وقار . ولما لم تتكلم ولم تتحرك افتعل ابتسامة خالية من الدعابة وسألها في هدوء:

«هل يمكنني الدخول ؟»

«نعم... نعم ، بالطبع .»

ظهرت وكأنها لا تعي ما تقول . وتحركت كإنسان آلي نحو غرفة الاستقبال وغاصت في أريكة وهي ترتجف ونظرت اليه للمرة ، الأولى وصدمتها علامات التوتر حول فمه والظلال التي تحيط بعينيه وحرك رأسه وهو يبحث عن علبة السكائر في جيبه نظرت اليه وقالت :

«كيف عرفت مكاني ؟»

«بحثت عنك في البلاد طولا وعرضاً شهراً كاملا ، وسألت عن أخبارك لدى جميع أصدقائك ومعارفك وأخيراً وصلتني رسالة من أختك تشير علي فيه أن أبحث عن جين لأنها واثقة من انك ستكونين معها. وكانت على حق . فقد جئت الى هنا منذ بضعة أيام وقابلت جين واستطعت اقناعها بضرورة التحدث معك . ثم وعدت بأن ترتب لي لقاء معك على انفراد . يجب أن نتحدث يا كارولين . ألا ترين ذلك ؟»

«نعم أظن ذلك .»

«أولا. أريد أن أعتذر عن أسلوبي في معاملتك . عندما أخبرتني دورندا بما قمت به من أجلها.»

ولم تسعفه الكلمات . فنهض وأطفأ سيكارته بعصبية . لم تستطع رؤية وجهه ولكنها استطاعت ان ترى عضله تنقبض في خده وفي قبضة يديه وكأنه يجاهد لاستعادة رباطة جأشه :

«لقد تزوجتني لأنك خشيت أن آخذ الطفل منك عندما أعلم أنك لست أمه . أليس كذلك ؟»

«نعم يا دومنيكو فعلت ذلك . انني آسفة لأنني اضطررت الى خداعك لكنني ظننت بانك لو اعتقدت بأن فيتو طفلي وانني كنت أحب أباه فلن تحاول التفريق بيننا. كرهت نفسي بسبب هذه الخدعة. لكنني اضطررت الى ذلك يا دومنيكو. فقد كانت الطريقة الوحيدة امامي.»

«أريدك أن تعرفي ان لا طلاق في وطني. هل المفروض أن أعيش وحيدا في ايطاليا بينما تقيمين أنت هنا في انكلترا؟ أم انك مستعدة

للعودة معي لمحاولة انقاذ ما يمكن انقاذه؟»

«ولكن ألا ترى يا دومنيكو انه يمكننا أن نبطل زواجنا ؟ ولهذا لا أدعك...!»

ثم توقفت عن الحديث واحمرّ وجهها خجلا وهي تحاول ترجمة أفكارها الى كلمات . وعادت تحاول الحديث فقالت :

«ولهذا ـ في باريس وفي الفيلا...»

ولم تستطع أن تكمل . وبدا أن دومنيكو لم تكن لديه النية لاخراجها من هذا المأزق برغم أنها كانت واثقة انه يعرف تماما ما كانت تحاول قوله .

وأثارها بقوله :

«هل تريدين الزواج من شخص آخر ؟»

«لا بالطبع ! ولكن ألا ترى يا دومنيكو أننا اذا أبطلنا الزواج أصبحت حراً وتزوجت كنديدا ؟»

فأجابها ببرود :

«ليست لدي رغبة في الزواج من كنديدا .»

فتراجعت الى الوراء قائلة :

«لكنك تحبها يادومنيكو . انني أعرف ذلك وقد رأيتك فى تلك الليلة وعرفت أنك تحبها.»

فقطب حاجبيه وبدا محرجاً ثم قال :

«لو أنك أنعمت النظر في تلك الليلة يا كارولين للاحظت أنها هي

التي كانت تحتضنني .»

«ولكنك كنت تخرج معها كل ليلة ـ هذا ما قاله لي جيفري . وفي الليلة التي خاطبتني تليفونياً قبل ذهابي الى الحفلة ، كانت معك . لقد سمعتها !»

«اسمعي يا كارولين . لست أدري ما شأن كنديدا بعلاقتنا ، ولكن يبدو انه يجب التخلص من هذا الموضوع قبل أن نخوض في الحقائق . انها مديرة الشركة كما أنها من أفراد العائلة وبينما كنت غائباً تعرضت الأعمال الى ازمة كبيرة وطلبت مني أن اسوي الأومور مما تطلب مجهوداً كبيراً ولم يكن لدي وقت أضيعه إلاّ في المساء . يجب أن تتذكري أن العمل أهمل في غيابي وتراكم في المكتب وكنت مضطراً الى مساعدتها.»

ثم استطرد :

«أعترف بأنها بدأت تحاول السيطرة عليّ في ليلة الحفل لكنك لو انتظرت لسمعتني أوضح لها أن اهتمامي بها كان مجرد اهتمام بالعمل . وبالنسبة الي فقد كانت رفيقة الصبا وطالما لهونا معا ولا شيء أكثر من ذلك . هل هذا يرضيك ؟»

نظرت اليه في أمل بعد أن جردته رقة عينيها من أسلحته . وصاح متألما:

«أرجوك أن تعودي معي يا كارولين ! كانت الأسابيع الماضية جحيماً . أعدك بأنني لن أطالبك بشيء بل امنحيني فرصة أخرى. أعرف انني

لا أستحقها ، وفي الحقيقة لا أستطيع أن ألومك لو رفضت ذلك.»

ثم قال بصوت قريب من الهمس :

«انني أحبك يا عزيزتي . أحبك ولا أحتمل التفكير في المستقبل من دونك .»

تواضع دومينكو، الروماني المتعجرف كان أكثر مما تستطيع احتماله. كانت تريده في الحاح ولكن ليس هكذا! دومنيكو المتعالي يقول لها إنه سيقنع باي جواب يصدر عنها.

مالت نحوه وقلبها يخفق في شدة . ورفعت وجهها اليه وتمتمت :

«آه يا دومنيكو يا حبيبي الغالي .»

استرد دومنيكو أنفاسه وقال :

«أتعنين انني عانيت طوال هذه الاشهر على رغم انك تحبينني.؟»

احاطت رقبته بذراعيها وضمت نفسها اليه في تأكيد أسعده ثم قالت :

«أحببتك منذ ذلك اليوم في باريس ياعزيزي لكنني لم أجرؤ على أن أدعك تعرف ذلك . وانت متى احببتني؟»

فابتسم قائلا :

«كانت المرة الأولى في الحديقة ياعزيزتي . كنت ترتدين الملابس نفسها التي ترتدينها الآن لكني لم أبال . لقد وقعت في حب فتاة متهورة تلبس الجينز ولها عينان زرقاوان وجسم ملائكي يتمنى أي رجل أن ينظر اليه.»

واستطرد قائلا :

«والمرة الثانية التي ازددت حباً لك فيها كانت يوم زواجنا . ولكن في باريس كنت متيماً. انني أحمل ذكرى تلك الليلة التي لم تفارقني.»

واحمر وجهها خجلا عندما تذكرت ارتباكها عندما استيقظت ووجدت نفسها في ثوبها الأسود الشفاف .

وفجأة انطلقت ضحكته وجذبها اليه بحرارة شديدة . وتحملت نظرته دون احتجاج وكادت تبكي عندما همس قائلا في جد :

«لو كان عليّ أن أختار لحظة في قلبي ، لما اخترت إلاّ هذه اللحظة ياعزيزتي لقد بحثت طوال حياتي عنك . ولو كتب عليّ العناء لأجلك لقبلت ذلك . انني لا أستحق عذوبتك وحبك لكنني سأكرس حياتي لرعايتك .»

شكرته على حبه في صمت . ونسيت كل ما لاقته من عذاب في الأسابيع الماضية .

واعترف لها في صوت ضعيف قائلا :

«إنني أشعر بالغيرة من كل رجل سبقني اليك . قولي لي ثانية إنك تحبينني !»

«دومنيكو . هل تشعر بالغيرة من أبي ؟»

«أبوك ؟»

«نعم فهو الرجل الوحيد الذي احببته قبلك .»

آلمها أن وجهه شحب لونه ثم أداره بعيداً عنها وتولاه شعور

بالضعة عندما أدرك أن معاملته السابقة لها ضايقتها . واحمر وجهه كدليل على شعوره بالحرج . فضمته اليها بكل ما في اعماقها من حنان بحيث لم يعد يشعر بأي ذنب . وأطمأن أخيراً الى أنها كانت له وحده . وتمتم في أذنها قائلا :

«أتدرين الى أين سنذهب يا عزيزتي ؟»

فهزت رأسها في دهشة ولم تعد تبالي مادامت ستكون معه .

واضاف :

«سنذهب الى باريس لقضاء شهر العسل . لكن الأمر سيختلف هذه المرة ! سيختلف تماما ...»

فتنهدت وقالت في سعادة غامرة :

«آه ، نعم ، يا دومنيكو أرجوك !»